وثائق دير صهيون

بالقدس الشريف

دكتور أحمد دراج

كلية الآداب - جامعة القاهرة

وثائق دير صهيون

بالقدس الشريف

تأليف

الدكتور أحمد درّاج

كلية الآداب - جامعة القاهرة

١٩٦٨

ملتزمة الطبع والنشر

مكتبة الأنجلو المصرية

١٦٥ شارع محمد فريد - القاهرة

صـــــورة الغـــــلاف

LAROUSSE, p. 287, 338

مُقَدِّمَةٌ

انقضت ست سنوات تقريباً منذ أن صدر كتاب المماليك والفرنج فى القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى ، وكنت قد وعدت فى طيّات هذا الكتاب بكتابة مقال لاحق عن « الرهبان الفرنسسكان ووثائق دير صهيون » . وفى الواقع أن ما كنت أعنيه فى ذلك الوقت لم يكن يتعدى استكمال دراسة نشاط الرهبان الفرنسسكان فى فلسطين من كافة نواحيه ، ومن واقع الوثائق الخاصة بتاريخ طائفتهم فى فلسطين والتى تُنسب إلى دير صهيون الذى كان مقراً ومركزاً لهم هناك .

وقد جاء هذا الوعد نتيجة لمقتضيات المحافظة على وحدة الموضوع فى كتاب المماليك والفرنج . ففى هذا الكتاب تناولت دراسة العلاقات بين المماليك والفرنج عامة من الناحية السياسية ، ولم يكن يدور فى خلدى عندما بدأت أخطّط لهذه الدراسة أن الأمر سيتطلّب الحديث عن الرهبان الفرنسسكان المقيمين فى فلسطين وقتذاك .

وفى الواقع إن روح العصر ، عصر الحروب الصليبية ، أدت إلى الخلط ، بل المزج التام ، بين الدين والسياسة والتجارة . ومن ثمّ ظلت الروح الصليبية تسيطر بصفة عامة على علاقات الفرنج بالدولة المملوكية ، وإن كانت حدتها أخذت تخف شيئاً فشيئاً بمرور الوقت نتيجة ضعف الآمال فى إحياء مملكة بيت المقدس الصليبية ، وغلبة المصالح التجارية على الوازع الدينى فى أوربا .

وكان الرهبان الفرنسسكان المقيمون فى فلسطين فى العصر الوسيط

من الفرنج ، تربطهم بأوطانهم الأم وبالـكنيسة الـكاثوليكية أهداف سياسية واحدة . وفضلاً عن ذلك فإن روح العصر فرضت عليهم أن يكونوا فى مقدمة العاملين على تحقيق الأهداف الصليبية ؛ ومن ثمّ فقد استحال عليهم الفصل بين مهمتهم الأصلية ، وهى دينية بحتة ، وبين هذه الأهداف السياسية التى يسعى الفرنج لتحقيقها فى الأراضى المسيحية المقدسة .

وهكذا اقتضت معالجة الموضوع دراسة سياسة الفرنج ، فى هذه الفترة ، إزاء الأراضى المسيحية المقدسة ، وعلى رأسها نشاط الرهبان الفرنسسكان المقيمين هناك . غير أن الحرص على وحدة الموضوع تتطلب الاقتصار على الجانب السياسى فقط من نشاط الرهبان الفرنسسكان فى فلسطين ، كما تتطلب التوقف فى دراسة هذا الجانب ـ من الناحية الزمنية عند تاريخ سقوط الدولة المملوكية .

وكانت هـذه الدراسة قد أتاحت لى فرصة الاطلاع على المجموعة العربية من وثائق دير صهيون ؛ وهى الوثائق التى تصوّر علاقة طائفة الرهبان الفرنسسكان بالسلطات المملوكية ، وتصوّر أوجه نشاطهم فى فلسطين . ولم يخرج هـذا الاطلاع ، وقتذاك ، عن دائرة معينة ، استلزمتها طبيعة الموضوع . غير أن الحقائق التى تبدّت لى من خلال ذلك الاطلاع أوضحت لى ـ عن يقين ـ تعدّد أوجه نشاط الرهبان الفرنسسكان فى فلسطين ، وأن الأمر يستلزم دراسة جادة دقيقة لهذه الوثائق لإبراز أوجه ذلك النشاط المتعدد . وليس ثمّـة شك فى أن

هـذه الدراسة تصور ـ أولاً وآخراً ـ جانباً من جوانب تاريخ فلسطين ، وجانباً هاماً من جوانب العلاقات بين الشرق والغرب في العصر الوسيط .

غير أني بعد أن تقدمت بعض الشيء في دراسة هـذه الوثائق ، تبين لي وعورة الطريق الذي أسير فيه . فالإلمام بما تحتويه هـذه الوثائق من حقائق ومعلومات تتصل بهـذا النشاط المتعدد الألوان والأغراض للرهبان ، وما يتطلبه الأمر من شرحها والتعليق عليها يقتضي دراسة دقيقة حول الموضوع تتطلّب الصبر وتتطلّب مراجع متعددة ومعينة . بل انها تتطلّب شيئاً آخر أعزّ وأصعب من كل ذلك منالاً ، ألا وهو الحياد العلمي الدقيق ، والتجرد العاطفي التام . فقد أبرز الآباء الفرنسسكان كلّ دراساتهم التي قاموا بهـا لتاريخ طائفتهم في فلسطين في إطارٍ من « التعصب الديني » من جانب السلطات الإسـلامية حتى تعذّرت على الباحث الرؤية الصحيحة لحقائق الأمور .

ومن ثمّ فقد وضح لي ـ منذ البداية ـ أن إخراج الموضوع من هذا الإطار العام هو الجوهر الذي يتعين عليّ إبرازه في هذه الدراسـة ، وأن هذه الدراسة يتحتم أن تقوم على شواهد وأدلة حيّة مجسّـمة لا تحتمل اللبس أو التأويل . ولم يكن بالأمر اليسير عليّ تبديد ماتغلّف الموضوع من هذا السحاب والضباب الكثيف ، ثم وضعه في الإطار الصحيح له .

وفي الواقع إن الوثائق الخاصة بالرهبان الفرنسسكان تفيض بأنواع متعددة

من « المظالم » التى طالما تعرضوا لها . من هذه المظالم مايتعلق بموضوع الحج إلى الأماكن المسيحية المقدسة وما كان يجبى منهم ومن غيرهم من الحجاج المسيحيين من رسوم ومقررات مختلفة بهذه المناسـبة ، ومنها مايتعلق بشئون معـاشهم وأحوالهم الخـاصة بوصفهم مقيمين فى فلسطين ، ومنها ما يتعلق بكونهم من الفرنج يتأثرون بصدى علاقات الدولة المملوكية بالفرنج عامة .

وليس ثمة شك فى أن الرهبان الفرنسسكان تعرضوا فعلاً لهذه المظالم . ولكن الشىء الذى أريد أن أوضحه وأؤكده فى هذه الدراسة أَن الدافع إلى إحداث هذه المظالم عليهم لم يكن اضطهاداً لهم أو تعصباً دينياً ضدهم ، كما صوّر الأمر الآباء الفرنسسكان فى دراساتهم .

فقد أَثبتت الدراسة المقـارنة أن أَهل الشام ، فى هذه الفترة ، مسلمين ومسيحيين ، مواطنين ومقيمين، شرقيين وغربيين، قد تعرضوا لمثل هذه المظالم، بل أَثبتت أَيضاً أن هذه المظالم نزلت بالحجاج المسلمين عامة فى هذه الفترة . وأَن الدافع إلى كل ذلك يكمن فى الحاجة الملحّـة إلى المال ، وطلبه وجبايته بشتى الوسائل ومختلف الأساليب سواء من جانب السلطات المملوكية الحاكمة، أو ممّـن تعتمد عليهم فى جبايته . فهى « مظالم مالية » بالنسبة للجميع ، دعت إليها سوء الحالة الاقتصادية وطبيعة النظام المملوكى ، ولا علاقة لها البتّة بالتعصب الدينى . وقد كان هذا الطابع العام هو مايتميز به العصر المملوكى كله ، ولاسيما الفترة الثانية منه ، فترة حكم المماليك الجراكسة .

وكما أوضحت من قبل أن هذه الدراسة يتحتم أن تقوم على أدلة وشواهد حيّـة مجسّـمة ، ومن ثمّ فقد قامت هذه الدراسة المقارنة على الوثائق

التاريخية الصحيحة وعلى النصوص المستخرجة من أوثق المصادر .

* * *

وإذا كانت وحدة الموضوع فى كتاب المماليك والفرنج قد اقتضت الحديث عن النشاط السياسى للرهبان الفرنسسكان فى فلسطين - فإن ذلك الحديث استدعى التعرض لمشكلة ذات طابع دينى ، تأثرت معالجتها إلى حد كبير بالجو السياسى الذى سيطر على علاقات المماليك بالفرنج طوال القرن الخامس عشر .

هذه المشكلة هى النزاع الذى قام بين اليهود والرهبان الفرنسسكان منذ مطالع ذلك القرن حول أحقيّـة كل منهم فى تمـلّك القبو الذى أجمعت الروايات على أنه يوجد به قبر نبىّ الله داود . وهذا القبر كان يوجد بالطابق الأرضى من منزل والد يوحنا مرقص ، القائم فوق جبل صهيون بالقدس الشريف ، والذى كان مكاناً مختاراً لاجتماع السيد المسيح بتلاميذه . وقد شهدت القاعة الغربية من الطابق العلوى بهذا المنزل والتى عرفت « عُلـِّيَّة صهيون » تناول السيد المسيح العشاء الربانى الأخير مع حوارييه . كما شهدت القاعة الشرقية المجاورة لها اجتماع السيد المسيح بحوارييه بعد قيامه من القبر ، حسبما تذكر الرواية المسيحية . ولذلك اكتسب هذا المنزل صفة القداسة عند المسيحيين ، وخاصة الغربيين منهم ، وارتبط تاريخه منذ منتصف القرن الثالث عشر بتاريخ طائفة الرهبان الفرنسسكان فى فلسطين ، كما أصبح الدير الذى بنوه حوله وعرف بدير صهيون المقر الرئيسى لهم هناك .

وفى عام ١٤٥٢ حسمت السلطات المملوكية هذا النزاع بين الطائفتين ، فقررت رعايةً لقبر نبىّ الله داود أن يكون القبو بيد المسلمين . واقتضى ذلك تحويل القبو إلى مسجد صغير وحبس بعض الأوقاف عليه لضمان النفقة عليه . ولم تنجح محاولات الرهبان الفرنسسكان طوال البقية الباقية من عهد الدولة المملوكية فى استعادة هذا القبو . وقد توقفت عند هذا القدر من تتبع ذلك النزاع حسبما سمحت به وحدة الموضوع .

غير أن تاريخ هذا الأثر لم يتحدد بصفة نهائية إلا فى أوائل العصر العثمانى . ففى هذه الفترة تجـدد النزاع بين الطائفتين حول موضوع أحقيّة كلٍ منهم فى تملك القبو ، واتخذ صورة أعنف ممـا كان عليه من قبل زمن المماليك . وتطور الأمر إلى تحويل المبنى القديم كله ، أى الطابق الأرضى بمـا فيه القبو ، والطابق العلوى بما فيه « عُلّيّـة صهيون » إلى مسجد كبير أصبح يعرف منذ سنة ١٥٢٤ بمسجد النبى داود . وبذلك تـكون السلطات العثمانية قد وضعت بهذا الإجراء حداً نهائياً لهذا النزاع .

ولم يمسّ هذا التحويل المقدّسات المسيحية واليهودية فى شيء البتّة ، بل إنه أتاح للسلطات الإسلامية بالقدس القيام على خدمة هذه الأماكن المقدسة ورعايتها على أفضل وجه . كما لم يمنع هـذا التحويل كلاً من المسيحيين واليهود فى زيارة مقدّساتهم ، وفضلاً عن ذلك فقـد أتاح المسلمين زيارة هذه المقدّسات والتبرّك بها . وقد اقتضى هذا التحويل ، وما ترتب عليه من ازدياد حدة العداء بين الرهبان الفرنسسكان واليهود

إجلاء الرهبان الفرنسسكان عن دير صهيون الذى كان يحيط بذلك الأثر ، وتعويضهم بدلاً عنه بكنيسة المخلّص بالقدس لتكون مقراً لهم .

إن سماحة الإسلام تجلّت فى أروع صورة فى العناية بهذا المكان المقدس ، الفريد من نوعه ، والذى يجمع بين هذه المقدّسات لدى الأديان السماوية الثلاثة . فقد كانت هذه المقدّسات ، على تعاقب الأزمان ، وعلى تعاقب الدول الإسلامية المختلفة صاحبة السيادة على فلسطين ، موضع العناية والرعاية التامة . ولذلك ظلت قائمة على حالتها الأولى ، حتى خلال الفترة التى اشتدت فيها روح الكراهية بين المسلمين والفرنج زمن الحروب الصليبية . وفى الواقع إن ما قام به العثمانيون ، وإن كان قد اتّسم بروح العداء لطائفة الرهبان الفرنسسكان ، لا يعدو أن يكون فى جوهره إجراءاً حاسماً للمحافظة على هذه المقدّسات .

ولقد ظل مسجد النبي داود مزاراً ومحجاً لليهود والمسيحيين والمسلمين حتى قيام حرب فلسطين فى عام ١٩٤٨ . ويعنينا — فى المقام الأول — من هذه الدراسة ، أن نوضح للعالم أجمع ما حلّ بهذا الأثر المقدس على يد الصهاينة ، وخاصةً فى هذا الوقت الذى تتعرض فيه المقدّسات المسيحية والإسلامية الأخرى بالقدس العربية لعدوان جديد من جانبهم .

لقد نجح الصهاينة بمقتضى قرار التقسيم ، فى أن يكون هذا الأثر المقدس داخل الجانب المحتل من القدس . وعلى الفور قاموا بإزالة

المقدّسات المسيحية والإسلامية بهذا الأثر ، وحولوه كله إلى معبد يحتفلون فيه ، فى ١٥ مايو من كل عام بذكرى قيام دولتهم ، واحتفالهم هذا فى هذا المكان بالذات ، القائم فوق جبل صهيون ، له دلالته الكبرى ؛ فهو يشير صراحةً إلى أهدافهم التوسعية وإلى آمالهم فى إحياء ملك داود وسليمان .

* * *

وبعد ، فقد شاءت الظروف أن أنتهى من هذه الدراسة فى الوقت الذى تعرضت فيه الدول العربية لعدوان جديد من جانب إسرائيل ، واحتلت فيما احتلته من أراضٍ عربية ، القدس العربية . ولا يخفى علينا ما تدعيه الحركة الصهيونية من أن المسجد الأقصى قد بنى فوق قدس الأقداس فى هيكل سليمان ؛ وقد نقلت إلينا الأنباء أن إسرائيل ، عقب عدوانها الأخير ، بدأت تنقّب عن هيكل سليمان توطئة لإعادة بنائه . وليس من المستبعد أن تعتدى إسرائيل على المسجد الأقصى ، كما اعتدت من قبل على مقدسات مسيحية وإسلامية عزيزة علينا .

فإلى العالم قاطبة ، يهوداً ومسيحيين ومسلمين ، أقدم هذه الدراسة نوراً وضّاءاً وبرهاناً ساطعاً على سماحة الإسلام ، وعلى ما تحقق على يد المسلمين ، على مرّ العصور ، من عناية ورعاية تامة للمقدّسات ؛ يهودية ومسيحية وإسلامية .

وإلى الآباء الفرنسسكان خاصة ، أقدم أيضاً هذه الدراسة ، عرفاناً

وتقديراً لرسالتهم ، ولمـا قاموا به فى الحفاظ على هذه المجموعة القيمة من وثائق دير صهيون التى تضيف إلى البحث العلمى فى تاريخ الشرق الإسلامى عامة ، وفلسطين خاصة ، ثروة كبيرة .

والله ولىّ التوفيق

يناير ١٩٦٨ أحمد درّاج

الفصل الأول

الرهبان الفرنسيسكان ووثائق دير صهيون

عرف المشتغلون بدراسة تاريخ مصر الإســـلامية مجموعة الوثائق العربية بدير سانت كاترين بشبه جزيرة سـيناء منذ أمد طويل ، ثم تتابع اهتمامهم بها حتى وقتنا الحاضر .

وأما وثائق دير صهيون بالقدس الشريف فقد اقتصر الاهتمام بها — حتى الآن — على طائفة الرهبان الفرنسسكان الذين ارتبط تاريخهم بتاريخ هــذا الدير وبغيره من المقدسات المسيحية بفلسطين منذ سنة ١٢١٩ .

وهذه الوثائق تتــكون من مجموعتين : الأولى مكتوبة باللغة العربية وتتعلق بنشاط الرهبان الفرنسسكان فى فلسطين منذ عهد السلطان بيبرس البندقدارى حتى عهد السلطان قانصوه الغورى . والثانية مكتوبة باللغة التركية وتتعلق بنشاطهم خلال فترة السيادة العثمانية على فلسطين . وقد قام الرهبان الفرنسسكان خير قيام على حفظ هــذه الوثائق ، فوصل إلينا قدر كبير منها سالماً وفى صورته الأصلية . وبعد نشوب حرب فلسطين وقيام دولة إسرائيل ازداد حرصهم أكثر من ذى قبل على هذه المجموعة النادرة من الوثائق ، وخاصة بعدما رأوا ما قام به الصهاينة من تحويل مسجد النبى داود إلى معبد يهودى ، فقاموا بنقلها وحفظها بمعهد الآباء الفرنسسكان للدراسات الشرقية بالقاهرة .

وهــذا المسجد — كما سنرى فيما بعد — جمع بين المقدســات السماوية الثلاث ، اليهودية والمسيحية والإسلامية . فيوجد به القبر

الذى يقال إنه يضم رفات نبىّ الله داود . كما كان يوجد به عُليّـة صهيون التى تناول فيها السيد المسيح العشاء الربانى الأخير مع حوارييه . وكان المسيحيون قد أقاموا فى القرن الرابع الميلادى فوق هذه العُليّـة كنيسة عُرفت بهذا الاسم ، ثم أقام حولها الرهبان الفرنسسكان ، فى هـذه المنطقة من جبل صهيون والتى تضم بعض المقدسـات المسيحية الأخرى ، الدير الذى عُرف بدير صهيون والذى تُنسب إليه هذه الوثائق . وقد أدت الظروف السياسية فى أوائل القرن السادس عشر الميلادى إلى إجلاء الرهبان عن الدير وتحويل هذا المكان المقدس إلى مسجد عُرف منذ ذلك التاريخ بمسجد النبى داود .

وإلى الرهبان الفرنسسكان يرجع أيضاً فضل القيام على نشر ما أمكنهم الاحتفاظ به على مرّ الزمن من المجموعة العربية من هذه الوثائق ؛ وهو جهد علمى كبير يذكر لهم بالثناء والتقدير . فأول من وجه منهم عنايته إلى هذه الوثائق هو الأب إيو ستيميوكاستلانى Eustimio Castellani الذى انتهى فى عام ١٨٢٢ من وضع فهرس للمجموعة كلها — العربية والتركية ـ مصحوباً بتعريف موجز لكل وثيقة [١] . ثم أعقبه الأب جيرولاموجولوبوفتش Girolamo Golubovich ، فنشر مرسومين صادرين من السلطان برسباى والسلطان قايتباى فى كتابه الذى طبع فى عام ١٨٩٨ عن تاريخ رؤساء دير صهيون [٢] . وأخيراً قام الأب نوربرتو ريشانى Norberto Risani فى عام ١٩٣١ بنشر كل ما وقع تحت يده من مجموعة الوثائق العربيـة خلال الفترة الممتدة

من بداية عهد السلطان الأشرف شعبان فى عام ٧٦٤ هـ / ١٣٦٣ م حتى العام الرابع عشر من سلطنة الأشرف قايتباى ؛ أى حتى عام ٨٨٥ هـ / ١٤٨٠ م [٣١].

غير أن التعريف بهذه الوثائق ونشر ما نُشر منها إنما تم فى إطار كتابة تاريخ الآباء الفرنسسكان بالأراضى المسيحية المقدسة ، وذلك بقصد الاستشهاد بها على مدى ما كانوا يتعرضون له من اضطهاد دينى على يد السلطات المملوكية العثمانية . فجميع هذه الدراسات التى قام بها بعض آبائهم تتسم بالروح الدينية الصارخة وتعالج تاريخ ونشاط الرهبان الفرنسسكان بالأراضى المسيحية المقدسة من زاوية دينية صرفة .

ويكفينا لإبراز هذه الصبغة أن نشير إلى أن أحدهم لم يجد سبباً يبرر به استشهاد من استشهد من رهبانهم بالأراضى المسيحية المقدسة خلال الفترة الممتدة من سنة ١٢٤٥ حتى سنة ١٨٦٠ سوى اضطهاد السلطات الإسلامية لهم وتعصبها ضدهم . بل إن روح المبالغة والتهويل جعلته يَعُدّ كل من أدركته الوفاة منهم — لسبب أو لآخر — فى سجل الشهداء ، وهم حسب الإحصاء الذى قام به يبلغون الألفين من الشهداء[٤] .

ومن ثم فإن هذا التصور الذى اتّسمت به دراسة تاريخ الآباء الفرنسسكان بفلسطين قد انعكس على القيمة العلمية لهذه الوثائق ، فظلت حبيسة أديرتهم ومكتباتهم الخاصة وبعيدة عن محيط البحث العلمى

المشتغلين بدراسة العلاقات بين الشرق والغرب فى العصر الوسيط[٥] .

وقد سبق لى أن أوضحت فى كتاب « المماليك والفرنج فى القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى » مدى القصور الذى اتّسمت به نظرتنا إلى نشاط الرهبان الفرنسسكان فى العصر الوسيط . فقد اكتسبوا بالأراضى المسيحية المقدسة — على مر الزمن — صفة سياسية فاقت وطغت على صفتهم الدينية ، بل إن تاريخ طائفتهم فى فلسطين أصبح يعكس إلى مدى كبير تاريخ العلاقات السياسية بين الدولة المملوكية والفرنج[٦] .

وإذا ما تركنا هذه الناحية الدينية والسياسية جانباً ، لوجدنا أن نشاط الرهبان الفرنسسكان قد شمل فلسطين كلها ، كما تعددت أوجه ذلك النشاط بسبب تعدد مصالحهم واختلاطهم بالأهالى . فلم يكن الرهبان الفرنسسكان بمعزل عن الحياة والناس ومنقطعين للعبادة كما هو حال رهبان دير سانت كاترين القائم فوق قمة جبل الطور فى شبه جزيرة سيناء ، ولا تتعدى علاقاتهم بالعالم سوى قيام السلطات المصرية بتأمين وجودهم فى هذا المكان النائى ورفع ما يتعرضون له من مظالم ، أو ما يربطهم بجماعات البدو الضاربة حولهم من علاقات الجوار والمنفعة المتبادلة ، أو بمن يتردد على الدير من الحجاج المسيحيين وغيرهم من الزوار من حين لآخر للزيارة والتبرك[٧] .

ومن هنا كانت القيمة العلمية الكبيرة لمجموعة وثائق دير صهيون ، فهى عديدة ومتنوعة تعالج شئون دينهم ودنياهم . وذلك بوصفهم رهباناً

منقطعين للعبادة لهم مالغيرهم من طوائف الرهبان من حق الرعاية التى تتمثل فيما توفره لهم الدولة من أمان وطمأنينة ، وفيما تمنحه إياهم من امتيازات وإعفاءات وحقوق ؛ وبوصفهم من الفرنج المقيمين فى فلسطين يجمعهم وإخوانهم فى أوطانهم الأم هدف سياسى واحد ، وينعكس عليهم صدى علاقات الدولة المملوكية بدول الفرنج . هذا فضلاً عما يربطهم بطوائف الرهبان الأخرى المنتشرة فى فلسطين من علاقات ذات طابع دينى صرف ، ومايربطهم بالأهالى مما يربط الناس عادةً بعضهم بعضاً من علاقات الجوار والتعامل ، والتعاطف والمحبة ، والتخاصم والتقاضى .

فإذا ما أدركنا كل هذه الحقائق الخاصة بوضع الرهبان الفرنسسكان فى فلسطين لوضح لنا خطأ الاقتصار على الناحية الدينية فقط فى دراسة تاريخهم ، كما وضح لنا أيضاً أن قيمة هذه المجموعة من الوثائق لاتقتصر على هذه الناحية الدينية وإنما تتعداها إلى نواحٍ أخرى أكثر شمولا ، سياسية واجتماعية ومالية .

ونحن إذ نعترف للآباء الفرنسسكان بما قاموا به من جهد فى الحفاظ على هذه الوثائق وفى دراستها من وجهة نظرهم الدينية ، لنهيب بالمؤرخين شرقيين وغربيين ، أن يتضافروا معهم فى إتمـــام نشرها ودراستها فى ضوء هذا المفهوم الجديد وبعيداً عن روح التعصب الدينى .

* * *

والتعريف بهذه الوثائق ـ فى ضوء هذا المفهوم الجديد ـ يقتضى أن يسبقه التعريف بتاريخ طائفة الرهبان الفرنسسكان فى الأراضى

المسيحية المقدسة ، وبتاريخ دير صهيون الذى تنسب إليه هذه الوثائق .

إن إقامة القديس فرنسيس وأتباعه من الرهبان فوق جبل صهيون إنما ترجع إلى عام ١٢١٩ ، ففى ذلك العام سمح لهم الملك المعظّم عيسى سلطان دمشق — بناء على طلب أخيه الملك الكامل سلطان مصر — بالإقامة هناك فى مقر متواضع ينقطعون فيه للتعبد[٨] . وفى عام ١٢٢٣ أصدر البابا هنريوس الثالث المرسوم البابوى Solet Annuere الذى اعترفت الكنيسة الكاثوليكية بمقتضاه بطائفة الرهبان الفرنسسكان[٩] .

وكان الهدف الرئيسى من إقامتهم فوق جبل صهيون أن يحصلوا من السلطات الإسلامية على حق رعاية الأماكن المسيحية المقدسة القائمة فوق الجبل والمتعلقة بحياة السيد المسيح — وعلى وجه التخصيص — عُليّة صهيون وقاعة الحواريّين .

فعلى التل الجنوبى الشرقى من جبل صهيون كانت تقوم مدينة النبى داود ، وأمامها فوق التل الجنوبى الغربى من الجبل ، كانت توجد مقابر أنبياء اليهود على بعد بضعة مئات من الأمتار جنوبى سور سليمان . وبجوار هذه المقابر كانت توجد عُليّة والد يوحنا مرقص ، أحد تلاميذ السيد المسيح ، والتى كانت مكاناً مختاراً لاجتماعه بهم .

وكانت هذه العُليّة عبارة عن مبنى يتكون من طابقين قائمين على عقدين مزدوجين . فأما الطابق الأرضى فكان قليل الارتفاع ويتكون من قاعتين ، قاعة شرقية مستطيلة يبلغ طولها سبع خطوات ، وذات سقف

معقود على هيئة قبو ، ولها كوّتان صغيرتان فى الحائط الشرقى يدخل منهما الشمس . وفى هذه القاعة يوجد قبر أجمعت الروايات فيما بعد على أنه القبر الذى يضم رفات سيدنا داود. وأما القاعة الغربية فملاصقة لهذه القاعة الأولى غير أنها أقل ارتفاعاً منها .

وفوق هاتين القاعتين كانت توجد قاعتان عُرفتا بعلّيّة صهيون الفوقانية تمييزاً لها عن القاعتين المقابلتين لها بالطابق الأرضى . فأما القاعة الغربية منهما فهى التى تناول فيها السيد المسيح مع حوارييه العشاء الربّانى الأخير الذى يرمز عند المسيحيين إلى سر القربان المقدس[١٠] .

ففى هذا العشاء أخذ السيد المسيح خبزاً وبعد أن شكر الرب كسر الخبز وأعطى تلاميذه قائلا لهم : خذوا كلوا ، هذا هو جسدى الذى يُبذل عنكم ، فاصنعوا هذا لذكرى . ثم أخذ الكأس وبعد أن شكر الرب أعطاها لهم قائلا : اشربوا من هذا كلكم ، فإن هذا دمى لعهدٍ جديد فاصنعوا هذا لذكرى كلما شربتم منه . وفى نهاية العشاء قام وخلع ثيابه وأخذ منشفة واتّزر بها وبدأ يغسل أرجلهم ويمسحها بالمنشفة ، وكانوا قد خلعوا نعالهم عند دخول القاعة واتكئوا حول المائدة بأقدام متعبة علاها التراب . وبعد أن غسل أرجلهم قال لهم : إن كنت وأنا السيّد والمعلّم قد غسلت أرجلكم فأنتم يجب عليكم أن يغسل بعضكم أرجل بعض ، قد غسلتكم وأنتم طاهرون ولكن ليس كلكم . وهو بهذا يشير إلى

يهوذا الخائن ؛ فبعد هنيهة أردف موضحاً : الحق أقول إن واحداً منكم سيسلمنى . وقد جرت الكنيسة الكاثوليكية على الاحتفال بهذه العادة فى يوم خميس العهد من كل عام[١١] .

وأما القاعة الشرقية من الطابق العلوى لذلك المبنى فهى التى عرفت بقاعة الحواريّين لأن السيد المسيح ، حسبما تذكر الرواية المسيحية ، كان يجتمع معهم بها خلال الأربعين يوماً التى أعقبت قيامه من القبر وقبل أن يُرفع إلى السماء . ولذلك كانت هذه القاعة مخصصة لاجتماع الحواريّين فيما بعد ولاحتفالهم بعيد العنصرة[١٢] .

وعلى مقربة من ذلك المبنى كان يوجـد العمود الذى صُلب عليه السيد المسيح ، والبيت الذى عاشت به السيدة مريم عليها السلام طوال الأربعة عشر عاماً التى أعقبت رفع ابنها إلى السماء ثم توفيت به ، وكذلك الحجر الذى رُجم فوقه القديس اتيين[١٣] .

وفى القرن الرابع الميلادى أقام البيزنطيون كنيسة كبرى فوق هذا المبنى ، عُرفت بكنيسة « صهيـون » وظلت هذه الكنيسـة قائمة إلى أن سقطت فى عام ١٢١٧ ، ولم ينج من الهدم سوى الجانب الغربى من المبنى القديم ، أى عُليّة صهيون الفوقانية ، وكذلك القبو الذى يوجد به قبر داود فى الجانب الشرقى . وترتب على سقوط الكنيسة إهمال المسيحيين لهذه الأماكن المقدسة ، الأمر الذى أدى إلى عناية المسلمين بها . وبفضل هذه العناية ظلت « العُليّة » قائمة مزاراً للحجاج المسيحيين ، وأما القبو فقد أقام به المسلمون قبلة وحولوه الى مسجد تعظيماً وتكريماً

لنبىّ الله داود[١٤] . وقد أشاد برعاية المسلمين لهذه المقدسات أحد الحجاج الغربيين ، ريكولد دى مونت كروس Ricold de Mont Croce الذى أدى فريضة الحج فى أواخر القرن الثالث عشر وزار فيما زاره من أماكن مقدسة تلك القائمة فوق جبل صهيون[١٥] .

وقد تمكن الرهبان الفرنسسكان من أن يحصلوا من السلطات الأيوبية فى عام ١٢٤٥ على حق توليهم رعاية هذه الأماكن المقدسة[١٦] . وفى عام ١٣٣٥ أتيحت لهم فرصة توسيع مقرهم الأول وبناء دير صهيون الذى ضم عُليّة صهيون وكنيستها التى أعادوا بناءها ، وكذلك المقدسات المسيحية الأخرى المجاورة لها فوق الجبل . هذا ومن الجدير بالذكر أن المراجع الأوربية تجمع على أن بناء دير صهيون على هذا النحو لم يتم إلا بعد أن آلت ملكية هذه المنطقة إلى روبرت الأنجوى ، ملك صقلية ونابلى ، الذى نجح فى ذلك العام فى شرائها من السلطان الناصر محمد بن قلاوون مقابل سبعة عشر مليوناً من القطع الذهبية[١٧] . غير أن ضخامة هذا المبلغ الذى دفع فى ذلك الوقت ثمناً لهذه المنطقة تجعلنا نشك كثيراً فى صحة ذلك الشراء ، هذا فضلاً عن أن المراجع العربية المعاصرة لم تشر إلى ذلك البتّة .

وكيفما كان الأمر فإن دير صهيون الذى تُنسب إليه هذه المجموعة من الوثائق قد بنى فى ذلك التاريخ ، كما ترتب على بنائه أن القبو الذى يقال إن به قبر داود ، والذى يعتبر جزءاً من المبنى القديم ، لم يعد مسجداً ، وإنما اتخذ منه الرهبان المقيمين بالدير مدفناً لموتاهم[١٨] .

ونظراً لوجود هذا الدير بعيداً عن العمران فقد تكفلت السلطات المملوكية بحمايتهم هم ومن ينزل فى ضيافتهم من حجاج الفرنج ، فجرى العرف على أن يقيم معهم داخل الدير اثنا عشر مملوكا بصفة دائمة [١٩].

. . .

ومنذ نهاية القرن الحادى عشر والروايات المسيحية واليهودية تتواتر على صحة وجود قبر داود بهذا القبو . فقد جاء ذكره بين قائمة الأماكن المقدسة التى تضمها كنيسة صهيون فى الوصف الذى دوّنه حاجب كونت تولوز لهذه الكنيسة فى عام ١٠٩٩ . وكان كونت تولوز قد اختار المكان المجاور لها مقرا ومعسكرا لفرسانه من البروفنساليين عقب فتح الصليبيين لبيت المقدس [٢٠]

غير أنه من الملاحظ أن اليهود لم يهتموا بهذه الحقيقة إلا بعد قيام مملكة بيت المقدس الصليبية . فأولى رواياتهم فى هذا الصدد ، جاءت على لسان الرحالة اليهودى بنيامين الطايطلى الذى زار القدس فى عام ١١٧٣ . فيخبرنا نقلاً عن حاخام القدس وقتذاك ، ابراهام القسطنطينى بما حدث من اكتشاف قبر نبيّهم داود فى هذا المكان منذ خمسة عشر عاماً [٢١] ثم أخذت هذه الرواية تشتد وتقوى حتى انعقد إجماعهم عليها واستقرت فى أذهانهم ، وخاصة بعد قيام الرهبان الفرنسسكان ببناء كنيسة ودير صهيون فى عام ١٣٣٥ [٢٢] .

كما أن المسلمين يعتقدون أيضاً أن هذا القبر هو قبر نبيّ الله داود . وفى هذا يقول مؤرخ القدس ، مجير الدين (قال وهب : دفن داود بالكنيسة المعروفة بالجيسمانية شرقى بيت المقدس فى الوادى .

ويقال إن قبر داود عليه السلام بكنيسة صهيون ، وهى التى بظاهر القدس من جهة القبلة ، بأيدى طائفة الفرنج لأنها كانت داره . وفى كنيسة صهيون المذكورة موضع تعظمه النصارى ويقال إن قبر داود فيه وهذا الموضع هو الآن بأيدى المسلمين)[٢٣].

وعلى هذا النحو وقر فى أذهان الناس ، مسيحيين ويهود ومسلمين، منذ منتصف القرن الرابع عشر صحة وجود رفات سيدنا داود فى هذا القبو . وفى خلال القرن التالى انعقد إجماع الحجاج الفرنج واليهود الغربيين على ذلك ، ومن هؤلاء : إينياس دى سمولنسك Ignace de Smolensk [٢٤] ، ودى جرتنيوس De Grethénios [٢٥] ، والشماس زوسم Zosime ، وبيرو طافور Pero Tafur ، والحاخام مسحولام Meshullam ، وعباديه Obadiah [٢٦] ، وجورج لنجران Georges Lengherand [٢٧] ، وچان تينو Jean Thenaud [٢٨] .

ثم انتقل اليهود إلى المطالبة بأحقيتهم عن الرهبان الفرنسسكان فى تملك هذا القبو ، وأخذوا يتربصون المناسبات التى تسوء فيها علاقات الدولة المملوكية بالفرنج واستغلالها للضغط على سلاطين المماليك لإخراج القبو من يد الرهبان الفرنسسكان وتسليمه إليهم . وهذا ما نجحوا فى تحقيقه فى عهد السلطان المؤيد شيخ عام ١٤٢٠ ، وفى عهد السلطان برسباى عام ١٤٢٩ . غير أنه ما كادت العلاقات تعود إلى مجراها الطبيعى بين الفرنج وكلٍ من المؤيد شيخ وبرسباى حتى يعود الرهبان الفرنسسكان إلى المطالبة باستعادته ، فيعاد إليهم .

وفى عهـــــد السلطان جقمق استغل اليهود مرة ثالثة هذا العامل السياسى وطالبوا بإعادة القبو إليهم . غير أن هذا السلطان الذى عرف بغيرته الدينية الشديدة رأى حسماً لهذا النزاع ومحافظة على قداسة المكان إخراج القبو عن هاتين الطائفتين المتنازعتين ، وأن تكون رعاية قبر نبىّ الله داود بيد المسلمين وذلك بتحويله إلى مسجد كما كان من قبل منذ أن سقطت كنيسة صهيون فى عام ١٢١٧ . وقد اقتضى ذلك إقامة قبلة به فى عام ١٤٥٢ ، كما استلزم الأمر أيضاً هـــدم قاعة الحواريين القائمة فوقه حتى لا تطأه أقدام الحجاج المسيحيين عند زيارتهم لها .

غير أن الرهبان الفرنسسكان لم يسكتوا على هذا الوضع ، فأثاروا هذا الموضوع فى عهد السلطان الأشرف إينال ، ومرة ثانية فى عهد السلطان الأشرف قايتباى ، ولـكنهم لم يوفـقوا فى استعادة القبو . كما لم تتح الظروف والأحوال السياسية فى السنوات الأخيرة من عهد الدولة المملوكية الفرصة لهم للعودة إلى إثارة مطالبهم[٢٩] .

وما أن انتهى الغزو العثمانى للشام ومصر واستقرت الأمور للسلطان سليم الأول حتى بادر المسيحيون بالقدس للسعى لديه لتأمينهم على أنفسهم وعلى كنائسهم وأديرتهم . واستجاب السلطان لمسعاهم فأصـــدر أثناء مروره بالقدس فرماناً بتاريخ ٢٥ صفر ٩٢٣ / ١٩ مارس ١٥١٧ موجهاً إلى بطريرك بيت المقدس يؤمن بمقتضاه جميع طوائف المسيحيين وفقـاً

للشروط التى نص عليها عهد عمر بن الخطاب إلى بطريرك بيت المقدس زمن الفتح العربى لفلسطين[٣٠] .

وبعد أن اطمأن الرهبان الفرنسسكان إلى شرعية كيانهم فى ظل الدولة الجديدة عادوا مرة أخرى لإثارة موضوع أحقيتهم فى تملك القبو ، عسى أن يجدوا أذناً صاغية لدى السلاطين الجدد . وقد نجحوا فى عام ١٥١٩ بفضل مساعى فرانسوا الأول ملك فرنسا لدى السلطان سليم الأول فى أن يُسمح لهم بترميم دير صهيون وإعادة بناء قاعة الحواريين كما كانت فوق القبو . وفى خلال عامين كانوا قد أتموا بناء القاعة وإعادة بناء الدير كله من جديد بدلا من الاكتفاء بعمارة الأجزاء المتداعية التى تحتاج إلى الترميم[٣١] .

وفضلاً عن مخالفة ذلك العمل لعهد عمر بن الخطاب الذى يحرّم على المسيحيين إعادة بناء الكنائس والأديرة ، وإنما يسمح لهم فقط بعمارتها وترميمها بما يحفظ كيانها ويمنعها من السقوط ، فإن بناء الرهبان لقاعة الحواريين قد أثار ثائرة المسلمين واليهود بالقدس . فقد رأوا فى ذلك انتهاكاً لحرمة وقداسة قبر داود والمسجد المقام بالقبو أسفلها .

وكما حدث فى عهد السلطان جقمق والسلطان قايتباى ، قام المشايخ والفقهاء بإذكاء حماس المسلمين والمطالبة بهدم هذه القاعة . وتطور الأمر من الحماس إلى الهياج العام ؛ فقد نشط اليهود فى تأجيج روح الكراهية بين المسلمين والفرنج ، وإثارة المسلمين لاتخاذ موقف إيجابى حاسم . وتزعم الجموع الثائرة شيخ الشيوخ الشمسى محمد الأعجمى الواعظ فى

الضغط على السلطات الدينية والقضائية بالقدس ؛ فأصدر المفتى فتوى شرعية كما أصدر القاضى محضراً شرعياً يحتمان ضرورة هدمها .

وسافر الشيخ الأعجمى إلى استانبول مزوداً بهاتين الوثيقتين ليعرض القصة على مسامع السلطان سليمان . وهناك تمكن من إثارة ثائرة السلطان وإذكاء غيرته الدينية ، فأصدر فى أول جمادى الأول ٩٢٩/١٨ مارس ١٥٢٣ خطاً شريفاً إلى قاضى القدس وإلى نائبها بأن يقوما ، فى التوّ والحال ، بإجلاء الرهبان عن كنيسة العلّية وعن ديرصهيون ، وأن يقوما بإزالة القاعة التى بنيت فوق القبو . كما أمر السلطان بتحويل الأثر كله ، أى المبنى القديم ، إلى مسجد ، وأن يعهد بأمر رعاية هذه الأماكن هى وغيرها المتعلقة بالأنبياء والرسل إلى السادة الأشراف بالقدس[٣٢] .

وما أن علم بهذا القرار قنصل البندقية باستانبول ، بيترو زينو Pietro Zeno حتى سارع ببذل المساعى لدى الصدر الأعظم إبراهيم باشا لإيقاف تنفيذه ؛ غير أن مساعيه فى هذا الصدد باءت بالفشل[٣٣] . وأما الشيخ الأعجمى فما كاد يعود إلى القدس حتى قام على رأس جموع المسلمين فى أول ربيع الأول ٩٣٠/٨ يناير ١٥٢٤ بهدم القاعة وتحويل العُليّة إلى مسجد ؛ وذلك بأن أقام قبلةً وسط الحائط القبلى بها . ثم قام بتثبيت الرخامة التى نُقش عليهـا مرسوم السلطان سليمان فى منتصف الحائط الشرقى للعُليّة الملاصق للقبو . ومنذ ذلك الوقت أصبح هذا المكان المقدس يعرف بمسجد النبي داود[٣٤] .

ويجدر بنـا أن نوضح أن هـذا التغيير لم يمس العُليّة ذاتها كأثر

مقدس من آثار السيد المسيح ، فقد ظلت قائمةً بالهيئـة التى كانت عليها ، كما لم يمس القبو الذى يضم قبر داود . وكل ما فى الأمر أن السلطات الإسلامية قد حسمت بهذا الإجراء ذلك النزاع بين اليهود والمسيحيين وحافظت على الأثـرين المقدسين وقامت بواجب رعاية هذه الأماكن المقدسة للأنبياء والرسل .

بل إن سماحة الإسلام تجلت فى أروع صورة فى هـذا المـكان المقدس لدى الأديان السماوية الثلاث ؛ فـلم يمنع المسيحيون من زيارة العُلية ، كما لم يمنع اليهود من زيارة قبر داود ؛ وفضلاً عن ذلك فقد أتيح للمسلمين زيارة هذه المقدسات والتبرك بها .

وأما فيما يختص بإقامة الرهبان الفرنسسكان بدير صهيون فقد امتدت عدة سنوات أخرى بفضل المساعى التى بذلوها ، والتى بذلها من أجلهم فرانسوا الأول ، ملك فرنسا ، لدى السلطان سليمان . ومن هذه المساعى ما قاموا به أثناء مرور الصدر الأعظم إبراهيم باشا بمدينة غزة فى عام ١٥٢٦ . إذ انتهزوا هذه الفرصة وعرضوا عليه استعدادهم لترك مطالبهم وادعاءاتهم من حيث أحقيتهم فى تملك القبو ، على أن يسمح لهم بإعادة بناء كنيسة العُليّـة ، وأن يسمح لهم باستمرار إقامتهم بالدير . غير أن إبراهيم باشا رفض الاستماع إلى العرض(٣٥) .

كما فشلت أيضاً المساعى التى بذلها فى هـذا الصدد فرانسوا الأول فى عام ١٥٢٨ . إذ رد السلطان على مكاتبته له ، بأن العُليّة قد تحولت

فعلاً إلى مسجد يذكر فيه اسم الله ، وأن إعادة تحويل المسجد إلى كنيسة أمر لا يستسيغه منطق[٣٦] .

غير أن هذه الوساطة التى ساندها قنصل البندقية باستانبول ، نجحت فى السماح للرهبان باستمرار إقامتهم بالدير ، فظلوا يقيمون به حتى تقرر إجلاؤهم عنه فى عام ١٥٥١ . ثم سمحت لهم السلطات العثمانية فى عام ١٥٥٩ باتخاذ كنيسة المخلّص بالقدس مقراً ومركزاً لهم . ويبدو أن إقامتهم على هذا النحو بالدير الذى يحيط بمسجد النبى داود كانت مصدراً للاحتكاك المتواصل بينهم وبين المسلمين واليهود[٣٧] .

هذا ومن الإنصاف أن نقرر أن كل ما يمكن أن يقال فى هذا الموضوع من وجهة نظر المسيحيين الغربيين أنه كان إجراءً عدائياً ضد الرهبان الفرنسسكان الذين كانوا يقيمون فى هذه المنطقة لخدمة ورعاية هذه المقدسات ، وهذا ما سنتحدث عن أسبابه تفصيلا فيما بعد . وإنما يكفينا – فى هذا المجال – للرد على ذلك القول أن نشير إلى ما جاء على لسان أحدهم ، الأب مارتنيانو رونساجليا Martiniano Roncaglia فى كتابه « القديس فرنسيس والشرق الأوسط » عن حقيقة وضع الرهبان الفرنسسكان فى ظل الحكومات الإسلامية . وإنى لأنقل هنا نص عبارته نظراً لأهميتها ، يقول الكاتب :

(كان الرهبان الفرنسسكان من اللاتين ومن الغربيين ، ولهذا نظرت إليهم الحكومات الإسلامية كأعداء ، وهى نفس النظرة التى نظر بها إليهم نصارى الروم الذين كانوا تحت الحكم التركى[٣٨]) .

وواضح أن هذه النظرة العدائية من جانب الحكومات الإسلامية للاتين عامة ، والرهبان الفرنسسكان خاصة ، إنما جاءت نتيجة للحروب الصليبية وما تمخضت عنها ، كما أن عداء نصارى الروم لهم إنما يرجع إلى الخلاف المذهبي معهم . وبذلك يكونون قد جمعوا بين عداء المسلمين ونصارى الروم ، فضلاً عن اليهود وهم طرف أصلى فى هذا النزاع .

ولم تشأ الكنيسة الكاثوليكية أن تتقبل هذه النتيجة التى انتهت بإجلاء الرهبان الفرنسسكان عن جبل صهيون ، بل ظلت تعمل من حين لآخر ، طوال القرون التالية ، من أجل استرداد الرهبان لعليّة صهيون ، غير أن جميع جهودها فى هذا الصدد باءت بالفشل[٣٩] .

وأخيراً نجحت جهود القيصر غليوم الثانى فى عام ١٨٩٨ لدى السلطان عبد الحميد فى أن تسلم له قطعة الأرض الفضاء المجاورة من ناحية الشمال الغربى لمسجد النبيّ داود ، والتى كان يوجد مكانها المنزل الذى توفيت به السيدة مريم عليها السلام . وقد سلمت هذه الأرض إلى القيصر فى أول نوفمبر من العام التالى أثناء وجوده بالقدس لتأدية فريضة الحج ، فقام بدوره بإهدائها إلى رعاياه من الكاثوليك الذين أقاموا فوقها هذا الأثر الدينى الذى لا يزال قائماً حتى اليوم[٤٠] .

هذا ومن الجدير بالذكر أن الرهبان الفرنسسكان وقت أن كانوا يقيمون بدير صهيون كانوا قد تمكنوا فى شهر صفر ٨٩٨ — يناير — فبراير ١٤٨٩ من إقامة كنيسة فوق هذا المكان ، وقد ساعدهم على ذلك نائب القدس وقتذاك بعد أن دفعوا له مبلغاً من المال . غير أن

الرأى العام بالقدس أبلغ الأمر إلى السلطان قايتباى الذى كلف بدوره شيوخ الإسلام والقضاة والفقهاء بالقدس بتحرِّى الحقيقة . وبعد البحث والتقصِّى أقر هؤلاء فى محاضر شرعية رفعت إلى السلطان بأن هـــذه الكنيسة مُحدثة فى دار الإسلام ، ومن ثمَّ استوجب الأمر هدمها فى السنة التالية[٤١] .

وأما اليهود فإنهم على الرغم من انتصارهم على الرهبان الفرنسسكان ؛ هذا الانتصار الذى تمثل فى إبعادهم عن القبو ، بل عن العليَّة ودير صهيون ؛ وعلى الرغم مما قامت به السلطات الإسلامية من رعاية قبر داود والمحافظة على قداسته وحرمته على هذا النحو الذى أبرز معالمه عن ذى قبل وأتاح للناس قاطبةً زيارته والتبرك به ، فإن الأمل ظل يراودهم فى أن يضعوا أيديهم يوماً ما على هذا الأثر المقدس .

وأخيراً سنحت لهم الفرصة بعد مضى أكثر من أربعة قرون ؛ ففى عام ١٩٤٨ قامت حرب فلسطين وتمخَّض عنها قيام دولة إسرائيل بمقتضى قرار التقسيم . وقد حرص الصهاينة على أن يكون جبل صهيون ، وخاصة المنطقة التى يقوم عليها مسجد النبىّ داود داخل حدود دولتهم ، وهذا ما نجحوا فى تحقيقه . ثم بادروا على الفور بتحويل مسجد النبىّ داود إلى معبد ، وفى ١٥ مايو من كل عام يحتفلون فى هذا المعبد بعيد قيام دولتهم . واحتفالهم هذا فى هـذا المكان بالذات له دلالته الكبرى ، إذ أنه يرمز إلى آمالهم فى إحياء ملك داود .

وليس هناك ثمّـة شك فى أن تحويل المسجد إلى معبد قد أدى

إلى ضياع معالم المقدسات المسيحية المتعلقة بالسيد المسيح والحواريين . وقد أثار ذلك ثائرة الكنيسة الكاثوليكية والرهبان الفرنسسكان — على وجه التخصيص — الذين كانوا يقومون على رعايتها فترة طويلة من الزمن من قبل . وفى هذا الصدد نشير إلى المقال الذى كتبه الأب برناردان كولان Bernardin Collin بعنوان « الأخوة الفرنسسكان بعلّية صهيون » فى مجلة الدراسات الفرنسسكانية ، العدد التاسع ، يوليو ١٩٥٩ ، بمناسبة احتفال إسرائيل بالعيد العاشر لميلادها فى ١٥ مايو ١٩٥٨ فى ذلك المعبد القائم فوق جبل صهيون ، واتخاذها من الاحتفال بهذه المناسبة فى هذا المكان بالذات مظهراً لنجاح الحركة الصهيونية . فى هذا المقال يوضح الأب برناردان للعالم أجمع ما فعل الصهاينة بهذه المقدسات المسيحية ، ويكشف نواياهم ، كما يذكّر العالم المسيحى خاصة بهذه المقدسات وبالدور الذى قام به الرهبان الفرنسسكان فى رعايتها فى ظل الحكم الإسلامى ، ثم يهيب بالمسيحيين أن يهبوا لدفع إعتداء الصهاينة عليها والمطالبة بها(٤٢) .

وليس هذا فحسب ما حدث على أيدى الصهاينة ، فكثير من المقدسات المسيحية والإسلامية الأخرى لم تسلم من عدوانهم ، والأمثلة على ذلك عديدة يعرفها العالم قاطبةً .

* * *

لقد ارتبط تاريخ الرهبان الفرنسسكان فى فلسطين أكثر ما ارتبط بإقامتهم فوق جبل صهيون فى هذا الدير الذى أقاموه وضم المقدسات

المسيحية القائمة فوق الجبل . غير أن نشاطهم الدينى امتد فوسع فلسطين كلها ، ثم ما لبث أن اتخذ صفة سياسية أدت إلى أن تنظر إليهم السلطات الإسلامية نظرة سياسية بوصفهم من الفرنج المعادين لها .

فلم يكتف الرهبان الفرنسسكان برعاية هـــذه الأماكن المقدسة فوق جبل صهيون ، بل تطلعوا إلى أن يكون لهم نصيب مع بقية طوائف الرهبان الأخرى فى الإقامة داخل كنيسة القيامة للقيام على خدمتها ، وأن يخصص لهم مكان لتعبدهم بها . وفى الوقع إن إقامة رهبان الفرنج حول كنيسة القيامة ترجع إلى ما قبل الإسلام ، وعلى وجه التحديد ، إلى عهد البابا جريجورى الأول (٥٩٠ — ٦٠٤) [٤٣] . غير أنهم ، إذا مااستثنينا فترة سيادة الصليبيين على بيت المقدس ، لم يحظوا بهذا الشرف داخل الكنيسة إلا فى عام ١٣٤٢ عندما منح السلطان المملوكى الأشرف علاء الدين كجك بن الناصر محمد هـــذا الحق للرهبان الفرنسسكان كممثلين لطوائف الفرنج [٤٤] .

كما تأيد لهم هذا الحق من قبل الكنيسة الكاثوليكية ، إذ أصدر البابا كلمنت السادس فى ٢٠ نوفمبر من نفس العـام المرسوم البابوى Gratias Agimus الذى عهد لهم بمقتضاه بمهمة رعاية كنيسة القيامة والأماكن المسيحية المقـدسة فوق جبل صهيون . ومنذ ذلك الوقت ورئيسهم أصبح يسمى « حارس كنيسة القيامة وجبل صهيون [٤٥] » وله حق إختيار اثنين وثلاثين أو أربعين من رهبان دير صهيون ليحظوا ببركة الخـدمة والتعبد داخل كنيسة القيامة ، وأن يبدلهم بغيرهم كل عام [٤٦] .

وقد صاحب إزدياد نفوذهم الدينى إتساع مهمتهم ، الأمر الذى ترتب عليه زيادة ممتلكاتهم . فأصبح لهم دير ثانٍ ببيت لحم ، وثالث ببيروت[٤٧] ، ودار لاستضافة حجاج الفرنج بالرملة[٤٨] ، ثم دير رابع لهم بالرملة فى أواخر عهد الدولة المملوكية[٤٩] . فضلاً عن دير لراهباتهم بالقدس الشريف[٥٠] .

وفى عام ١٤٢٠ منحهم البابا مارتن الخامس حق منح الغفران للذين يشملهم قرار الحرمان من الكنيسة من تجار البنادقة والجنوية والكتلان المقيمين بأراضى الدولة المملوكية بمصر والشام أو الذين يترددون عليها[٥١]

ثم ما لبثوا أن اكتسبوا على مر الزمن نفوذاً سياسياً أقوى وأعظم من نفوذهم الدينى . إذ على الرغم من وجود قنصل لكلٍ من البندقية وجنوه وفرسان القديس يوحنا بالقدس وكّل إليهم رعاية شئون الحجاج الكاثوليك أثناء تأديتهم فريضة الحج[٥٢] ، فإن الرهبان الفرنسسكان هم الذين كانوا يتولون فعلاً هذه المهمة منذ أن تطأ أقدام الحجّاج ميناء يافا إذا كانوا قادمين مباشرة من بلادهم فى أوروبا ، أو عن طريق غزّة إذا كانوا قد فضلوا زيارة مصر وما بها من مقدسات مسيحية أولاً . فهم الذين كانوا يقومون بتيسير دخولهم فلسطين والحصول لهم من نائب القدس على « جواز المرور » وارشادهم لمناسك الحج وتقديم المأوى لهم أثناء موسم الحج[٥٣] . وفى الواقع ، مالبثت أن أصبحت مهمة القناصل ثانوية حتى اقتصر دورهم — كما جاء على لسان الكثيرين من الحجّاج — على بيع النبيذ لهم وابتزاز الأموال منهم[٥٤] .

واستدعى تزايد نفوذهم السياسى على هذا النحو أن أصبح لهم قنصل يتولى تمثيلهم لدى السلطات المملوكية ، وترجمان معتمد لدى هذه السلطات كان مسئولاً رسمياً عن القيام بعملية الترجمة(٥٥) .

ويكفينا لإبراز هذه المكانة المتزايدة التى اكتسبوها فى فلسطين أن نشير إلى اللقب الرسمى الذى كان يلقّب به رئيسهم ؛ وهو حسبما جاء فى الوثائق الرسمية « الريس بدير صهيون وعين كارم وبيت لحم وكبير طائفة الفرنج المقيمين بالقدس الشريف ودير صهيون »(٥٦) .

وعلى الرغم من هذه المكانة السياسية الكبيرة التى حظوا بها لدى سلاطين المماليك فقد حرصت البندقية وجنوة ، وهما الدولتان اللتان كانتا تتنازعان فى ذلك الوقت شرف زعامة الغرب المسيحى بالأراضى المقدسة على حماية الرهبان الفرنسسكان والذود عنهم إذا ما ألمَّ بهم أذىً أو مكروه . ثم نافسهما — فيما بعد — منذ منتصف القرن الخامس عشر شرف هذه الزعامة وهذه الحماية كل من أنس فى نفسه القوة والمقدرة على ذلك من ملوك الفرنج ، كملوك البرتغال وأسبانيا وفرنسا(٥٧) .

كما أن تطور الحركة الصليبية فى القرنين الرابع عشر والخامس عشر وما ترتب على ذلك من تطور العلاقات السياسية بين المماليك والفرنج قد أثر كثيراً على وضع الرهبان الفرنسسكان ؛ الأمر الذى أدى إلى تزايد صفتهم السياسية أكثر من ذى قبل . بل أصبحوا يمثلون فى نظر السلطات المملوكية أمم الفرنج مجتمعةً . وفى هذا المعنى سبق أن قلت فى كتاب المماليك والفرنج ، (هؤلاء الرهبان قد تطور بهم الأمر

وخرجوا عن حدود رسالتهم الدينية وأصبحوا دعاة وخداماً للفكرة الصليبية . فكانوا يقومون بتيسير الإتصال بين الباباوات وملوك الفرنج وملوك الحبشة ، وذلك عن طريق الرهبان الأحباش المقيمين معهم بالقدس. كما كان منهم الرسل والسفراء لدى ملوك الحبشة للاتفاق على تنفيذ المشروعات الصليبية . وهكذا طغت عليهم الصبغة السياسية ، واضطرت السلطات المملوكية من جانبها ، عندما كانت تحيق بها الأخطار ، إلى أن تنظر إليهم من هذه الزاوية . فأصبحوا فى نظرها يمثلون من الناحية السياسية البابوية وأمم الفرنج ، وأصبح لهم وضع متميز عن وضع بقية طوائف الرهبان الأخرى المقيمة معهم بالقدس(٥٨)) .

الفصل الثاني

المجموعة العربية من وثائق دير صهيون

ولنلق الآن نظرة فاحصة على المجموعة العربية من هذه الوثائق — وهى التى تهمنا فى هـذا المجال — لنعرف مدى تمشيها مع ما آل إليه وضع طائفة الرهبان الفرنسسكان فى الأراضى المسيحية المقدسة فى ظل السيادة المملوكية .

فهذه المجموعة تشتمل على الوثائق الآتية :

١ — مراسيم سلطانية « عامة » صادرة من سلاطين المماليك إلى رؤساء دير صهيون ؛ أى مراسيم تقرر كل ما استقر عليه الأمر بشأنهم فى عهود هؤلاء السلاطين(٥٩) .

٢ — مراسيم سلطانية « خاصة » تعالج موضوعاً معيناً يخصهم أو شكوى معينة رُفعت إلى سلاطين المماليك للنظر فيها(٦٠) .

٣ — مراسيم صادرة من نواب القدس ؛ وهى بمثابة أوامر تنفيذية تأذن للرهبان بتنفيذ القـــرارات السلطانية التى نصّت عليها المراسيم السلطانية السابقة(٦١) .

٤ ـ حجج شرعية صادرة من قضاة القدس تتعلق بشئونهم المدنية ، مثل الفصل فى المنازعات المدنية التى تنشب بينهم وبين الأهالى بفلسطين ، أو توثيق العقارات والممتلـكات التى تؤول إليهم عن طريق الشراء(٦٢) .

٥ ـ فتاوى ومحاضر شرعية صادرة من القضاة ومشايخ الإســـلام بالقدس تسمح لهم بعمارة وترميم كنائسهم وأديرتهم(٦٣) .

فأما النوع الأول من هـذه المراسيم ـ وهو أهم هذه الوثائق ـ

فإن تعددها يرجع إلى أن الرهبان الفرنسسكان حرصوا مع بداية عهد كل سلطان على استصدار مرسوم عام ، يحمل اسمه وتوقيعه ويقرر ما سبق أن منحه لهم أسلافه من السلاطين من امتيازات واعفاءات وحقوق ، كما يقرر رفع المظالم عنهم .

وليس ثمة شك فى أن تجدّد المراسيم — على هذا النحو — إنما يؤكد أن ما تقرره هذه المراسيم كان سرعان ما يُنقض ، أو أنه كان لا يتمشى مع الواقع .

فقد ورد فى مقدمة مرسوم السلطان قايتباى — وهو آخر مرسوم وصل إلينا — والمؤرخ فى ٨ ذى القعدة ٨٧٦ هـ أنه بمثابة تجديد لما بأيديهم من مراسيم شريفة من الملوك السالفة وهم : الظاهر بيبرس ، والمنصور قلاوون ، والناصر محمد ، والناصر حسن وإخوته ، والأشرف شعبان ، والظاهر برقوق ، والناصر فرج ، والمؤيد شيخ وولده المظفّر ، والظاهر ططَر وولده الصالح ، والأشرف برسباى ، والظاهر جقمق ، والأشرف اينال ، والظاهر خشقدم(٦٤) . كما يتضح من « الكتالوج » الذى نشره كاستّلانى لهذه الوثائق أن هذه المراسيم السلطانية تمتد حتى السلطان قانصوه الغورى .

غير أن هذا العدد الكبير من المراسيم السلطانية لم يصل إلينا جميعه . فالمراسيم الصادرة من الظاهر بيبرس حتى الأشرف شعبان بن حسين قد فقدت(٦٥) . كما أن المجموعة التى نشرها الأب ريشانى ، والتى تحتوى على ٢٨ وثيقة وتشمل الفترة الممتدة من سلطنة الأشرف شعبان بن حسين حتى العام الرابع عشر من سلطنة الأشرف

قايتباى ، لا تضم إلا ثمانية مراسيم سلطانية . وهى مرسوم « لـكل من شعبان بن حسين ، وبرقوق ، ومحمد بن ططر ، وجقمق ، وخشقدم وقايتباى ، ومرسومان لبرسباى[٦٦] . هـذا فضلاً عن أن الجزء الأخير من هذه المجموعة والذى يشمل الفترة الممتدة من بقية عهد قايتباى حتى عهد قانصوه الغورى قد فُقد كله .

وعلى الرغم من ذلك فإن المجموعة التى نشرها الأب ريشانى تُوفى بالغرض من حيث بيان طبيعة هذه المراسيم وبيان وضع طائفة الرهبان الفرنسسكان فى فلسطين . إذ أن كلاً من هـذه المراسيم يَعتبر صورة منسوخة عن المرسوم السابق عليه ، يقرر نفس الامتيازات والاعفاءات والحقوق ويقرر وجوب تأمينهم ورعايتهم ورفع جميـع المظالم عنهم[٦٧] .

فبعد قراءة جميع هـذه المراسيم يمـكن القول أنهـا تتناول النقاط الرئيسية الآتية :

١ — حرية التعبـّد للرهبان وعدم التعرض لهم فى زيارة الأماكن المقدسة التى جرت عادتهم على زيارتها والتعبـّد بهـا . كما تنص على إعفائهم من أية مكوس تُجبى منهم عند زيارتهم لـكنيسة القيامة وغيرها من المزارات والمقدسات المسيحية بوصفهم رهباناً منقطعين للعبادة .

٢ — معالجة شئون حياتهم ومعاشهم وتقرير الاعفاءات المالية لهم فى الحالات الآتية :

— حرية السفر إلى الخارج وحرية العودة إلى فلسطين دون جباية أية مكوس منهم .

— حرية التنقل لهم ولأتباعهم داخل فلسطين ومعاملتهم بالحسنى وبما تقتضيه قواعد العدالة .

— عدم جباية أية أتاوات منهم عند قيامهم بترميم منازلهم أو حسب مصطلح العصر دون « قَطْع مُصانعه»(٦٨) .

— عدم جباية أية مقررات مالية منهم فى مناسبات معينة ، كمناسبة تولية نائب جديد للقدس أو مناسبة قدوم رسول من قبل السلطان .

— الإعفاء الجمركى لما يرد إليهم من بلادهم من مواد غذائية ، وألا يُمنعوا من تقبّل الهبات التى تقدّم إليهم من مواطنيهم بأوربا . .

— عدم فرض أية قيود على نقل المواد الغذائية الخاصة بهم داخل فلسطين ، ومن دير إلى دير ، ولا سيما النبيذ .

— معالجة شئونهم الخاصة دون تدخل من أحد .

— ميراث من يموت منهم يؤول إليهم(٦٩) .

— عدم التعرض لهم فى أموالهم وفى ممتلكاتهم الخاصة .

— تأمين سلامتهم الشخصية وعدم التعرض لهم بأذى أو مكروه .

٣ — عدم مسئوليتهم إزاء ما يحدث من غارات المتجرّمة فى البحر من الفرنج على سفن المسلمين ، أو على الثغور المصرية والشامية(٧٠) :

٤ — وأما المراسيم « الخاصة » فتختص برفع مظلمة معينة عنهم[٧١] ؛ أو بالفصل فى المنازعات التى تنشب بينهم وبين طوائف الرهبان الأخرى المقيمة معهم فى فلسطين ولا سيما رهبان الجورجان[٧٢] ؛ أو السماح لهم بترميم الكنائس الثلاث التى يشرفون على رعايتها وخدمتها وهى : كنيسة القيامة ، وكنيسة صهيون ، وكنيسة المهد ببيت لحم ؛ أو بترميم أديرتهم الأربعة وهى : دير صهيون ، ودير بيروت ، ودير الرملة ، ودير النسوة راهبات الفرنج بالقدس[٧٣] .

جدول توضيحى للمجموعة العربية من وثائق دير صهيون من واقع « الـكتالوج » الذى وضعه كاستلّانى والوثائق التى نشرها ريشانى

رقم مسلسل	اسم السلطان	تاريخ الوثيقة	نوع الوثيقة	موضوع الوثيقة	رقم الوثيقة Castellani	رقم الوثيقة Risani
١	بيبرس البندقدارى	–	–	–	١،٢،٣،٤،٥	–(١)
٢	قلاوون	–	–	–	٧،٨	–(٢)
٣	بيبرس الجاشنكير	أول صفر ٧٠٩	مرسوم « عام »	يقرما للرهبان من امتيازات وإعفاءات وحقوق	٩	–
٤	الناصر محمد	١ جمادى الاولى ٧١٠	« «	يقرما للرهبان من امتيازات وإعفاءات وحقوق	١٠	–(٣)
٥	« «	–	« «	–	١١	–
٦	أولاد الناصر محمد	–	حجج مختلفة	–	١٢–٢٤	–(٤)
٧	شعبان بن حسين	٢ رجب ٧٧٦	مرسوم « عام »	يقر مالهم من امتيازات على غرار المراسيم السلطانية السابقة .	٢٥	١
٨	—	–	حجج مختلفة	–	٢٦–٢٨	–
٩	برقوق	٩ شوال ٧٩٠	مرسوم « عام »	إلى الأمراء والولاة والنواب والشّادين والمتصرفين بالطرقات المصرية والبلاد الشامية يتضمن اعلامهم أنه كتبت للرهبان بـكنيسة	–	٢

(١) ، (٢) ، (٣) ، (٤) جاء ذكر المراسيم الصادرة عن هؤلاء السلاطين فى مقدمة مرسوم خشقدم (رقم مسلسل ٤٣) ومرسوم قاتباى (رقم مسلسل ٤٦)

(تابع) جدول توضيحى للمجموعة العربية من وثائق دير صهيون

رقم مسلسل	اسم السلطان	تاريخ الوثيقة	نوع الوثيقة	موضوع الوثيقة	رقم الوثيقة Castellani	رقم الوثيقة Risani
				دير صهيون مراسيم مطلقة(٥) بمنع من يتعرض إليهم بمالا جرت لهم به عادة من قديم الزمان .		
١٠	برقوق	١٩ ذى القعدة ٧٩٠	مرسوم « عام »	إلى الأمراء والولاة والنواب والشادين والمتصرفين بالطرقات المصرية والبلاد الشامية يتضمن أن ناظر قمامة (القيامة) يمنع الرهبان من زيارتها ويخرجهم من القدس لقطع مصانعتهم ومن ثم يقرر المرسوم منع الناظر وغيره من التعرض إليهم بغير سبب وإجرائهم فى ذلك على جارى عادتهم إذا قاموا بما عليهم من الحقوق السلطانية .	—	—
١١	برقوق	٢٠ شوال ٧٩٧	مرسوم «خاص»	طائفة الفرنج بالقدس الشريف يطلبون	—	٤

(٥) هذه المراسيم المطلقة التى أصدرها برقوق للرهبان الفرنسسكان لم يشر إليها كاستلانى فى كتالوجه ، كما أنها سقطت من مجموعة الوثائق التى نشرها ريشانى .

(تابع) جدول توضيحى للمجموعة العربية من وثائق دير صهيون

رقم مسلسل	اسم السلطان	تاريخ الوثيقة	نوع الوثيقة	موضـــــوع الوثيقة	رقم الوثيقة Castellani	رقم الوثيقة Risani
١٢	برقوق	٢٧ ذى القعده ٧٩٨	مرسوم « خاص »	عمارة ما تهدم وبلى من الأخشاب والرصاص بمهد سيدنا عيسى ببيت لحم ، والمرسوم يسمح لهم بذلك على حكم المرسوم الشريف الذى بأيديهم المستمر الحكم والعمل بحسبه ، ومنع من يتعرض إليهم بغير سبب وكف أسباب الأذى والضرر عنهم والوصية بهم ورعايتهم . مرسوم إلى (نائب القدس) بأن يتقدم بحمل الرهبان على ما بأيديهم من المراسيم الشريفة والكريمة التى بأيديهم الثابتة المستمرة الحكم إلى آخر وقت ، ومنع من يتعرض إليهم فى مساكنهم بغير حق ولا	–	٥

(تابع) جدول توضيحى للمجموعة العربية من وثائق دير صهيون

رقم مسلسل	اسم السلطان	تاريخ الوثيقة	نوع الوثيقة	موضـــــوع الوثيقة	رقم الوثيقة Castellani	رقم الوثيقة Risani
				يحدث عليهم حادث ولا يتجدد عليهم مظلمة والوصية بهم .		
١٣	برقوق	١٧ ذى الحجة ٧٩٨	مرسوم «خاص»	مرسوم إلى نائب المدس) بحمل جماعة رهبـان الفرنج على ما بأيديهم من المحضر الشرعى الشاهد لهم بالمساكن التى يقيمون بها بداخل كنيسة القيامة لأجل خدمة كنائسهم ومنع جنس الروم من التعرض لهم أو لمساكنهم مع الوصية بهم فى ذلك .	—	٦
١٤	«	١٤ ربيع الآخرة ٧٩٩	« «	مرسوم إلى أخيه يشبك بأن يمكّن الفرنج الواردين لزيارة قمامة من بنـاء دار بالرملة ينزلون فيها كمقر لهم عند قدومهم مع الوصية بهم و كف الأذى والضرر عنهم .	—	٧

(١) أخ برقوق ، وكان نائبا للقدس

(تابع) جدول توضيحى للمجموعة العربية من وثائق دير صهيون

رقم مسلسل	اسم السلطان	تاريخ الوثيقة	نوع الوثيقة	موضوع الوثيقة	رقم الوثيقة Castellani	رقم الوثيقة Risani
١٥	برقوق	١١ محرم ٨٠٠	مرسوم «خاص»	السماح للرهبان باصلاح ما تهدم من مساكنهم داخل كنيسة قمامة .	٢٩	—
١٦	»	—	مرسوم « عام »	يقر ما للرهبان من امتيازات وإعفاءات وحقوق على حكم المراسيم السلطانية السابقة مع الوصية بهم .	٣٠	—
١٧	»	—	حجج شرعية	—	٣١ — ٣٤	—
١٨	فرج	٨١٤	مرسوم «خاص» + محضر شرعى + حجج شرعية	عمارة مهد عيسى ببيت لحم . الوثيقة الأخيرة (ريشانى رقم ١٣) هى المرسوم السلطانى الخاص بالسماح لهم بعمارة مهد عيسى ببيت لحم ومرفق به محضر رسمى من مشايخ المسلمين بالقدس ونائب القدس بوجوب عمارة كنيسة بيت لحم.	٣٥ — ٣٩	٨ — ١٣

(تابع) جدول توضيحى للمجموعة العربية من وثائق دير صهيون

رقم مسلسل	اسم السلطان	تاريخ الوثيقة	نوع الوثيقة	موضوع الوثيقة	رقم الوثيقة Castellani	رقم الوثيقة Risani
				وهذا المرسوم ملحق به أيضاً حجج مؤرخة فى سنة ٩١٨ ، ٩٦٩ ، ٩٧٢ هـ (عددها ٥ حجج) صادرة من قضاة القدس تجيز عمارة كنيسة بيت لحم فى هذه السنوات المشار إليها على غرار ما حدث فى سنة ٨١٤ هـ فى عهد السلطان فرج بن برقوق .		
١٩	المؤيد شيخ	—	مرسوم « عام »	على غرار المراسيم السلطانية السابقة	—	—(١)
٢٠	المظفر احمد (بن المؤيد)	—	» »	» » » » »	—	—(٢)
٢١	الظاهر ططر	—	» »	» » » » »	—	—(٣)
٢٢	الصالح محمد بن ططر	١٢ ذى الحجة ٨٢٤	» »	مرسوم عام لرهبان دير صهيون عليّة	٤٠	١٤

(١) ، (٢) ، (٣) جاء ذكر هذه المراسيم فى مقدمة مرسوم خشقدم (رقم مسلسل ٤٣) وفى مقدمة مرسوم قايتباى (رقم مسلسل ٤٦)

(تابع) جدول توضيحي للمجموعة العربية من وثائق دير صهيون

رقم مسلسل	اسم السلطان	تاريخ الوثيقة	نوع الوثيقة	موضوع الوثيقة	رقم الوثيقة Castellani	رقم الوثيقة Risani
				القدس الشريف أن يحملوا على عادتهم وأن لا يطلبوا بما يؤخذ من المسلمين فى البحر ولا بما يجده الفرنج فى البحر وأن لا يلزموا بما لا يلزمهم شرعا .		
٢٣	برسباى	٤ صفر ٨٣١	مرسوم « عام »	يقر جميع ما لهم من حقوق وامتيازات حملاً فى ذلك على ما بأيديهم من المراسيم الشريفة المتداولة من الملوك السابقة .	٤١	١٥
٢٤	»	١٠ صفر ٨٣٥	» »	تأكيداً المرسوم السابق .	٤٢	١٦
٢٥	»	سلخ شوال ٨٢٩	مرسوم « خاص »	مرسوم إلى النائب والحكام والقضاة وولاة الأمور بالقدس الشريف يتضمن اعلامهم الموافقة على السماح لرهبان دير صهيون .	٤٣	١٧

(تابع) جدول توضيحي للمجموعة العربية من وثائق دير صهيون

رقم مسلسل	اسم السلطان	تاريخ الوثيقة	نوع الوثيقة	موضوع الوثيقة	رقم الوثيقة Costellani	رقم الوثيقة Risani
				بالقدس الشريف بعمارة كنيسة دير صهيون على النحو الشرعي		
				بيع شيء خاص بالرهبار .		
٢٦	برسباى	٢٧ محرم ٨٤١	حجـة	بناء على أمر قاضى قضاة الحنفية بالديار	٤٤	–
٢٧	»	١١ جمادى الآخرة ٨٤١ ١٢ رجب ٨٤١ ١٥ » ٨٤١ ١٦ » ٨٤١ ١٧ » ٨٤١	محضر شرعى + فتوى + محاضر شرعية	المصرية بدر الدين العينى يشهد الموقعون على هذا المحضر من أهالى القدس بمعاينة حالة كنيسة عُلِيَّـة صهيون . وملحق بهذا المحضر فتوى أصدرها قاضى القضاة بدر الدين العينى بخصوص تجديد الرهبان لعمارة كنيسة عُلية صهيون . وملحق بها أيضاً عـدة محاضر شرعية تشهد بأنه بعد الكشف على ما تم	٤٥	١٨

(تابع) جدول توضيحى للمجموعة العربية من وثائق دير صهيون

رقم مسلسل	اسم السلطان	تاريخ الوثيقة	نوع الوثيقة	موضوع الوثيقة	رقم الوثيقة Castellani	رقم الوثيقة Risani
				من بنـــاء الدير والـكنيسة أن ذلك جاء مطابقاً لما سمح لهم به .		
٢٨	برسباى	٦ ذى الحجة ٨٤١	حجـــة	توثيق قطعة أرض مجاورة لدير صهون	٤٦	–
٢٩	جقمق	أول جمادى الأولى ٨٥٠	مكاتـبة	من الرئيس بدير بيت لحم ودير صهيون يطلب السماح بترميم ما انهدم من حوائط دير بيت لحم .	٤٧	–
٣٠	«	١٨ رجب ٨٥٠	فتوى شرعية	تجيز للرهبان إعادة بناء ما انهدم من حوائط الدير من غير زيادة عن البناء القديم	٤٨	١٩
٣١	«	١١ ذى القعدة ٨٥٠	مرسوم «عام»	يطلب إلى نائب السلطنه بالقدس الشريف معاينة ما انهدم من حوائط الدير والعمل بما يقتضيه حكم الشرع الشريف فى هذا الصدد ـ كما يعالج المرسوم بعض المظالم التى يشكو	–	٢٠

(تابع) جدول توضيحي للمجموعة العربية من وثائق دير صهيون

رقم مسلسل	اسم السلطان	تاريخ الوثيقة	نوع الوثيقة	موضوع الوثيقة	رقم الوثيقة Castellani	رقم الوثيقة Risani
				منها الرهبان ، ولذلك فهو يعتبر بمثابة مرسوم عام .		
٣٢	جقمق	١١ صفر ٨٥١	مرسوم «خاص»	مرسوم نائب السلطنة الشريفة بالقدس الشريف إلى ناظر الحرمين الشريفين بمعاينة ما انهدم من حوائط الدير ، وتمكين الرهبان من تكملة بناء ما هدم من ديرهم على حكم الشريعة المطهّرة .	—	٢١
٣٣	«	٢٣ صفر ٨٥١ ١٣ ربيع الأول ٨٥١	محضر شرعي « «	معاينة ما انهدم من حوائط الدير والسماح لهم بإعادة بنائها على الوجه الشرعي	—	٢٢ ، ٢٣
٣٤	«	٤ ذي الحجة ٨٥١	حجة شرعية	من قضاة القدس بتوثيق ما أُعيد بناؤه من حوائط الدير قبلةً وشرقاً وشمالاً .	٤٩	—
٣٥	«	١٩ ذي الحجة ٨٥١	محضر شرعي	معاينة الحائط المتهدم بدار النسوة	—	٢٤

(تابع) جدول توضيحى للمجموعة العربية من وثائق دير صهيون

رقم مسلسل	اسم السلطان	تاريخ الوثيقة	نوع الوثيقة	موضوع الوثيقة	رقم الوثيقة Castellani	رقم الوثيقة Risani
				راهبات الفرنج بالقدس ، وفتوى من قاضى القضاة الشافعى بالقدس يجيز لرئيسة الراهبات اعادة ما انهدم من الدار المذكورة على الوجه الشرعى .		
٣٦	حقمق	٢١ذى الحجة ٨٥١	مرسوم « خاص »	مرسوم من نائب السلطنة الشريفة بالقدس تمراز الظاهرى بالموافقة على تمكين رئيسة الراهبات من اعادة بناء الحائط المنهدم بدار النسوة راهبات الفرنج .	–	ملحق بالوثيقة ٢٤
٣٧	»	–	مرسوم « عام »	يقرر مالهم من حقوق ويمنع ما تجدد من مظالم عليهم .	٥٠	–
٣٨	إينال	١٥ ربيع الأول ٨٦٢	مرسوم « عام »	يقرر مالهم من حقوق على حكم المراسيم السلطانية السابقة .	٥١	–[1]

(١) جاء ذكر ذلك المرسوم للاشرف اينال فى مقدمة مرسوم خشقدم (رقم مسلسل ٤٣) ومرسوم قايتباى (رقم مسلسل ٤٦)

(تابع) جدول توضيحى للمجموعة العربية من وثائق دير صهيون

رقم مسلسل	اسم السلطان	تاريخ الوثيقة	نوع الوثيقة	موضوع الوثيقة	رقم الوثيقة Castellani	رقم الوثيقة Risani
٣٩	خشقدم	١١ صفر ٨٦٦	حجة	—	٥٢	—
٤٠	»	أول جمادى الآخر ٨٦٦	»	—	٥٣	—
٤١	»	٨٦٦	»	—	٥٤	—
٤٢	»	٨ رمضان ٨٦٦	»	—	٥٥	—
٤٣	خشقدم	٢٨ صفر ٨٦٩	مرسوم « عام »	بناء على القصة التى رفعها الريس بدير صهيون وعين كارم وكبير طائفة الفرنج المقيمين بالقدس الشريف ودير صهيون وجميع الرهبان المقيمين والواردين إلى القدس الشريف أن يجدد لهم مرسوم شريف مطلق على حكم مابأيديهم من المراسيم الشريفة من الملوك السالفة وهم :الظاهر بيبرس ، والمنصور قلاوون،	٥٦	٢٥

(تابع) جدول توضيحي للمجموعة العربية من وثائق دير صهيون

رقم مسلسل	اسم السلطان	تاريخ الوثيقة	نوع الوثيقة	موضوع الوثيقة	رقم الوثيقة Castellni	رقم الوثيقة Risanl
				والناصر محمد ، والناصر حسن واخوته ، والأشرف شعبان ، والظاهر برقوق، والناصر فرج ، والمؤيد شيخ وولده المظفر ، والظاهر ططر وولده الصالح ، والأشرف برسباى ، والظاهر جقمق ، والأشرف اينال .		
٤٤	»	١٣ رمضان ٨٧٠	مرسوم « خاص »	من الأمير الشهابى أحمد الظاهرى (قرية بيت لحم جارية فى اقطاعه) إلى الفلاحين بقرية بيت لحم بعدم التشويش على الرهبان بدير صهيون بالقدس الشريف .	–	٢٦
٤٥	»	١٨ رجب ٨٧١	حجة	السماح للرهبان بترميم حائط بديرصهيون	٥٧	–
٤٦	قايتباى	٨ ذى القعدة٧٧٦	مرسوم « عام »	بناء على القصة التى رفعها الريس بدير صهيون هو والرهبان بالدير المذكور بالقدس	٥٨	٢٧

(تابع جدول توضيحى المجموعة العربية من وثائق دير صهيون

رقم مسلسل	اسم السلطان	تاريخ الوثيقة	نوع الوثيقة	موضوع الوثيقة	رقم الوثيقة Castellani	رقم الوثيقة Risani
				الشريف أن يجدد لهم مرسوم شريف مطلق على حكم ما بأيديهم من المراسيم الشريفة من الملوك السالفة وهم : الظاهر بيبرس ، والمنصور قلاوون ، والناصر محمد، والناصر حسن واخوته، والأشرف شعبان ، والظاهر برقوق ، والناصر فرج، والمؤيد شيخ وولده المظفر ، والظاهر ططر وولده الصالح ، والأشرف برسباى ، والظاهر جقمق ، والأشرف اينال ، والظاهر حشقدم .		
٤٧	«	١٢ شعبان ٨٨٣	حجه	—	٥٩	—
٤٨	»	٨٨٤	»	—	٦٠	—
٤٩	«	١٣ ربيع الأول ٨٨٥	مرسوم « خاص »	مرسوم إلى نائب القدس الشريف أن يتقدم بتمكين الرهبان من عمارة سقف كنيسة	—	٢٨

(تابع) جدول توضيحى للمجموعة العربية من وثائق دير صهيون

رقم مسلسل	اسم السلطان	تاريخ الوثيقة	نوع الوثيقة	موضوع الوثيقة	رقم الوثيقة Castellani	رقم الوثيقة Risani
٥٠	قايتباى	٦ شوال ٨٨٥	حجه	المهد ببيت لحم على الوجه الشرطى عملا بالفتاوى الشرعية التى بيدهم عمارة سقف كنيسة المهد ببيت لحم	٦١	—
٥١	»	٧ جمادى الأول ٨٩٧	»	—	٦٢	—
٥٢	»	محرم ٨٩٩	»	النزاع بين رهبان الفرنسسكان ورهبان الجورجان حول جبل الصعود .	٦٣	—
٥٣	»	٩ رجب ٩٠٠	مرسوم « عام »	بمثابة تجديد للمرسوم السلطانى العام السابق الصادر فى سنة ٨٧٦	٦٤	—
٥٤	»	٤ ذى الحجة ٩٠٠	مرسوم « خاص »	يقضى بأن الحجاج والرهبان ليسوا مجبورين على دفع موجب الخفر (١) .	٦٥	—
٥٥	»	٣٠ جماد الأول ٩٠١	مرسوم « خاص »	اعفاء الرهبان من دفع موجب السلطان (٢)	٦٦	—
٥٦	محمد بن قايتباى	جمادى الأول ٩٠٣	» »	السماح للرهبان بترميم حائط دير صهيون	٦٧	—

١ ، ٢ — عن موجب الخفر وموجب السلطان أنظر فيما بعد

(تابع) جدول توضيحي للمجموعة العربية من وثائق دير صهيون

رقم مسلسل	اسم السلطان	تاريخ الوثيقة	نوع الوثيقة	موضوع الوثيقة	رقم الوثيقة Castellani	رقم الوثيقة Risani
٥٧	محمد بن قايتباى	١٥ جماد الأول ٩٠٣	حجه	السماح للرهبان بترميم حائط آخر بدير صهيون	٦٨	—
٥٨	قانصوه الأشرفى	٢٠ رمضان ٩٠٤	حجه	السماح للرهبان باجراء عمارة بكنيسة القيامه	٦٩	—
٥٩	» »	صفر ٩٠٥	»	السماح للرهبان بعمارة قبو بكنيسة القيامه	٧٠	—
٦٠	» »	٢١ ربيع الأول ٩٠٥	»	عمارة قبو بكنيسة القيامه	٧١	—
٦١	الغورى	١٤ ربيع الثانى ٩٠٩	مرسوم «خاص»	السماح للرهبان الفرنسسكان ببناء دير بالرمله	٧٣	—
٦٢	»	١٠ جماد الأول ٩٠٩	» »	يقضى بأن الفرنسسكان عليكون نصف جبل الصعود ، كما يقرر جميع ما بأيديهم من امتيازات سابقة	٧٤	—
٦٣	»	١٩ جماد الأول ٩١٠	» »	خاص بالنزاع بين الفرنسسكان والجورجان حول جبل الصعود	٧٥	—
٦٤	»	أول شعبان ٩١٠	» »	يقضى بأن يكون لكل من الجورجان والفرنسسكان نصف جبل الصعود ، وان	٧٦	—

(تابع) جدول توضيحى للمجوعة العربية من وثائق دير صهيون

رقم مسلسل	اسم السلطان	تاريخ الوثيقة	نوع الوثيقة	موضوع الوثيقة	رقم الوثيقة Castellaai	رقم الوثيقة Risani
٦٥	الغورى	٧ شوال ٩١٤	» »	يسمح للجورجان بالمرور إلى مكان الصعود السماح للرهبان الفرنسسكان بعمارة سقف كنيسة بيت لحم	٧٧	—
٦٦	» »	١٥ جماد الأول ٩١٥	حجة	خاصة بما استقر عليه الأمر بين الجورجان والفرنسسكان بصدد جبل الصعود .	٧٨	—
٦٧	»	١٢ محرم ٩١٦	»	خاصة بدير صهيون	٧٩	—
٦٨	»	—	مرسوم «خاص»	السماح للرهبان الفرنسسكان بعمارة وترميم دير صهيون	٨٠	—
٦٩	»	أول ربيع الأول ٩١٨	حجة	الرهبان الفرنسكان لا يضطهدهم أحد من النواب	٨١	—
٧٠	»	١٣ ذى الحجة ٩١٨	»	توثيق قطعة أرض ضمت إلى دير صهيون	٨٢	—
٧١	»	١٥ جماد الآخر ٩١٩	»	قضاة القدس يرفضون دعوى ملكية الجورجان لكل جبل الصعود، ويقررون أن لكل من الفرنسسكان والجورجان نصف الجبل	٨٣	—

الفصل الثالث

دراسة من واقع الوثائق

فإذا ما تتبعنا بالبحث موقف السلطات المملوكية من مطالب الرهبان الفرنسسكان ، فإننا نجد أنه على الرغم من تكرار النص فى المراسيم الصادرة اليهم على عدم مسئوليتهم إزاء غارات المتجرمة فى البحر[٧٤] ، فإن السلطات المملوكية كانت ترى نفسها مضطرةً آخر الأمر — إلى القبض على الرهبان والتهديد بشنقهم ، أو التهديد بغلق كنيسة القيامة كوسيلة من وسائل الضغط السياسى — لا بديل عنها — أمام قسوة الأحداث التى تتعرض لها الدولة .

وليس ثمّة شك فى أن خروج الرهبان الفرنسسكان عن طبيعة رسالتهم الدينية وتزايد نشاطهم السياسى ، الأمر الذى أدى إلى غلبة الصفة السياسية على صفتهم الدينية ، هو الذى برّر معاملة السلطات المملوكية لهم على هذا النحو البغيض . وهذا ما سبق أن أوضحته فى هذا البحث ، وفى شىء من التفصيل ، فى كتاب « المماليك والفرنج » مدعماً بشرح جميع الحالات التى تعرض فيها الرهبان الفرنسسكان لهذا الاجراء[٧٥] .

هذا ويتضح لنا من استعراض ماجاء فى هذه المجموعة من الوثائق خاصاً بترميم الكنائس والأديرة التى تحت رعايتهم وفى حوزتهم ، أن حرمة وقداسة هذه الأماكن المسيحية كانت فوق كل اعتبار . فالسلطات الإسلامية كانت دوماً تسمح لهم بالقيام بترميمها وعمارتها وفقاً للقاعدة الشرعية التى جرى الأمر على اتباعها — فى

هذا الصدد — بمقتضى عهد عمر بن الخطاب لبطر يرك بيت المقدس[٧٦] .

فقد سُمح لهم بمقتضى مرسوم السلطان برقوق بإصلاح وترميم الأماكن الموجودة فى رعايتهم داخل كنيسة القيامة[٧٧] ، كما سُمح لهم بذلك أيضاً بمقتضى حجج شرعية صادرة من قضاة القدس فى عامى ٩٠٤و٩٠٥هـ[٧٨] .

وسُمح لهم فى عهد كلٍ من السلطان برقوق ، وابنه فرج ، وقايتباى ، والغورى بعمارة كنيسة بيت لحم[٧٩] ؛ وفى عهد السلطان جقمق بعمارة دير بيت لحم[٨٠] .

وسُمح لهم فى عهد السلطان برسباى بعمارة الأجزء المتداعية بكنيسة عليّة صهيون[٨١] ، وسُمح لهم فى عهد كلٍ من السلطان جقمق وخشقدم ومحمد بن قايتباى ، والغورى بترميم دير صهيون[٨٢] .

وسمح لهم السلطان جقمق بعمارة ماتهدم من دار النسوة راهبات الفرنج بظاهر القدس[٨٣] .

بل إن السلطان الغورى سمح ببناء دير لهم بالرملة[٨٤] .

* * *

وإذا ما تجاوزنا هاتين النقطتين — السياسية والدينية — لوجدنا أن كل ما كان يتعرض له الرهبان الفرنسسكان إنما يدخل تحت موضوع « المظالم المالية » . والحديث عن هذه المظالم المالية التى حلت بهؤلاء الرهبان قد أسىء فهمه وفُسِّر تفسيراً خاصاً فى حدود الدائرة الدينية الضيقة .

ومن الحق والانصاف أن نذكر أن هذه المظالم المالية كانت سمةً مميزةً للعصر مملوكى ، وسوءةً عامةً لصقت بالمماليك لا سبيل إلى محاولة انكارها . غير أنه من الحق والإنصاف أيضاً أن نقرر — فى وضوح تام — أن هذه المظالم قد نزلت بالجميع ، مواطنين ومقيمين ، ومسلمين ومسيحيين ، دون تفرقة ودون تمييز . فسلاطين المماليك وأمرآئهم ، فى ظل النظام السياسى والعسكرى الذى أقاموه والذى لايعترف بحق الإرث ، كانوا فى سباق فى جمع المال وكنزه وتوريثه لأبنآئهم من بعدهم ، وكانوا فى سباق مع الزمن للتمتع بمباهج الحياة بعد كل الذى ذاقوه من مرارة الحرمان والرق فى سنوات حياتهم الأولى .

وقد ازدادت هذه السمة المميزة عنفاً أثناء العصر المملوكى الثانى — نظراً لسوء الحالة الاقتصادية الذى خيّم على البلاد منذ أواخر القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى ؛ الأمر الذى أدى إلى تفشّى الرشوة بين الجميع ، وبيع الوظائف العامة ابتداءً من أعلى درجات السلم الوظيفى حتى أدناه ، وفرض الأتاوات والمقرّرات المالية على أصحاب الحرف والصنائع والتجار ، والاشتطاط فى جباية المكوس من التجار والحجاج(٨٥) .

وهذه المظالم المالية التى كان يتعرض لها الرهبان الفرنسسكان نوعان :

الأول — وهو ما كان يجبى منهم ، شأنهم فى ذلك شأن بقية الحجاج المسيحيين ، من رسوم جمركية ومكوس عند دخولهم الأراضى المسيحية المقدسة ، وما كان يجبى منهم من رسوم عند زيارتهم لكنيسة

القيامة وغيرها من المزارات المسيحية المقدسة ، وما كانوا يضطرون لدفعه من أتاوات للمماليك والحرّاس .

والثانى ـ هو ما كانوا يتعرضون له ، بوصفهم مقيمين فى فلسطين شأنهم فى ذلك شأن أفراد الرعية كفرض الأتاوات عليهم وابتزاز الأموال منهم وقطع مصانعتهم .

ولكى نعرف ما كان يحل بهم من « مظالم » من هذا النوع الأول ، علينا أن نعرف ما كان يجبى من الحجاج . فهؤلاء كان يجبى منهم الرسوم الآتية :ـ

١ ـ « رسم الدخول » إلى الأراضى المسيحية المقدسة مع مايتبع ذلك من جباية « المكس » المقرّر على ما يحمله معه كل حاج . وكان ذلك الرسم والمكس يجبيان فى يافا إذا كان الحجاج قادمين بطريق البحر ، أو فى غزّه إذا كانوا قد فضلوا زيارة مصر أولاً وما بها من أماكن مسيحية مقدسة ثم توجهوا إلى فلسطين عن طريق سيناء .

٢ ـ « موجب الخفر » وكان يجبى من الحجاج عند وصولهم إلى مدينة الرملة نظير القيام بخفرهم طوال زيارتهم للاراضى المسيحية المقدسة .

٣ ـ « موجب السلطان » وهو الرسم المقرّر على كل حاج مقابل السماح له بزيارة كنيسة القيامة . وفيما يختص بالحجاج اللاتين فمن المعروف أنهم يقومون بزيارة كنيسه القيامة ثلاث مرات . الأولى وهى الزيارة الرئيسية حيث تفتح أبواب الكنيسة لجميع الحجاج يوم

سبت النور ، وكان يجبى عنها هذا الموجب . وأما الزيارتان الثانية والثالثة فكان يجبى منهم نظير السماح بهما رسم مخفض[٨٦] .

وإذا كان جباية « رسم الدخول والمكس » من الحجاج المدنيين يعتبر أمراً مسلماً به بوصفه حقاً من حقوق الدولة ، فإن جبايتها من الرهبان كانت تعتبر « ظلماً » وذلك أن إعفاءهم منها كان أمراً مقرراً .

وأما « موجب الخفر وموجب السلطان » فإن جبايتهما كانت تعتبر « ظلماً » بالنسبة لجميع الحجاج المسيحيين ، مدنيين ورهبانا . وذلك أن حق المسيحيين فى الحج إلى كنيسة القيامة ـ دون جباية رسوم منهم ـ كان قد أصبح أمراً مقرراً واكتسب صفة الشرعية منذ أن عُقدت معاهدة الصلح بين صلاح الدين وريتشارد قلب الأسد فى ٢٢ شعبان ٥٨٨/٢ سبتمبر ١١٩٢ .

حقاً إنه ليس فى نصوص هذه المعاهدة ـ كما أوردها المؤرخون العرب ـ أية أشارة إلى اتفاق الطرفين على إعفاء حجاج الفرنج من دفع الرسوم عند زيارتهم لكنيسة القيامة[٨٧] . غير أنه من المعروف أنه قد ترتب على عقد الصلح حقيقة هامة ، ألا وهى حرية التنقل لكلٍ من المسلمين والمسيحين فى بلاد بعضهم بعضاً . وهذا ماعبر عنه أحد المؤرخين المعاصرين بقوله ، (أن البلاد النصرانية والاسلامية واحدة فى الأمن والمسالمة ، فمن شاء من كل طائفة يترددوا إلى بلاد الطائفة الأخرى من غير خوف ولا محذور .) . وهذا ماحدث فعلاً ، فبعد

أسبوع من عقد الصلح (٢٩ شعبان ٥٨٨/٩ سبتمبر ١١٩٢) توافدت جموع غفيرة من الصليبيين على بيت المقدس ، بعد أن تجردوا من سلاحهم ، لزيارة كنيسة القيامة ، فأذن لهم صلاح الدين ، وكلف الخفراء يخفرهم فى مسيرتهم إلى القدس وفى عودتهم إلى يافا ، كما أكرم وفادتهم أثناء وجودهم بالقدس .

ويضيف مجير الدين الحنبلى ، مؤرخ القدس ، إلى ما ذكره كلٌّ من ابن شداد ، وأبو شامه ، وابن واصل[٨٨] ، فى هذا المعنى قوله ، (وفسح « صلاح الدين » للافرنج كافة فى زيارة قمامة ، فجاءوا وزاروا وقالوا إنما كنا نقاتل على هذا الأمر[٨٩]) .

وكلمة « فسح » لاتعنى الإعفاء - من حيث المبدأ - من دفع الرسوم ، ولكن واضحٌ من سياق الحديث ومن استقراء الروح العامة التى سادت كلاً من المسلمين والصليبيين عقب أقرار الصلح أن زيارة حجاج الفرنج لكنيسة القيامة تمت دون جباية رسوم منهم وأن صلاح الدين سامحهم فى ذلك .

ومما يؤكد هذا المعنى ، خاصةً بالنسبة لسلطان مثل صلاح الدين عُرف بتقواه وسماحته وكرمه ، أن صلاح الدين فعل - من قبل - نفس الشىء بالنسبة للحجاج المسلمين . ففى سنة ٥٧٢/١١٧٦ - ١١٧٧ أسقط عنهم ما كان يُجبى منهم من مكس ومن زكاة أموالهم حسبما استقر عليه الأمر زمن الفاطميين[٩٠] .

وموجز القول أن إعفاء حجاج الفرنج من دفع هذه الرسوم

اكتسب صفة الأمر الواقع ، وإن لم تكن قد نصت عليه معاهدة الصلح . وهذا مما حدا بالمؤرخين الغربيين ، المعاصرين منهم والمحدثين ، إلى القول بأن هذه المعاهدة أقرت للمسيحيين حق الإعفاء من دفع هذه الرسوم . وقد أورد لنا فان برشم .Van Berchem فى إحدى حواشيه المفصلة ، ثبتاً طويلاً بهذه المصادر . بل إنه نقل لنا عن أحد المؤرخين الشرقيين ، وكان معاصراً لصلاح الدين ، ما نصه ، (وقرر صلاح الدين أن يحجو اليها ...... وشرط أن لا يؤخذ منهم مكس[٩١]) .

ولكن فان برشم لا يلبث أن يقول — بعد أن يقرر هذه الحقيقة — أن حق الإعفاء هذا لم يدم طويلاً . فيقرر بعد استقراء كتب الرحالة الغربيين الذين أدوا فريضة الحج منذ بداية القرن الثالث عشر الميلادى أنه كان يجبى من كل حاج رسم مقابل السماح له بالزيارة الأولى لكنيسة القيامة . بل إنه يذهب إلى أبعد من هذا ، فيقرر أيضاً أن هذا الرسم قد جبى من الفرنج الذين زاروا كنيسة القيامة أثناء الفترة القصيرة من سنة ١٢٢٩ التى كانت فيها القدس تحت حكم الإمبراطور الألمانى فردريك الثانى[٩٢] .

وقد أشار إلى هذه الحقيقة أيضاً الرحالة المسلمون ؛ ومن هؤلاء ابن بطوطة الذى زار القدس فى سنة ١٣٢٦ . فنى وصفه للقدس يقول عن كنيسه القيامة ، (وعلى كل من يحجها ضريبة معلومة للمسلمين)[٩٣] .

وأما « موجب الخفر » فإن المخاطر الكثيرة التى كان يتعرض لها الحجاج منذ أن تطأ أقدامهم ميناء يافا أو مدينة غزة استوجبت إشراف

السلطات على خفرهم[٩٤] . وإذا أضفنا إلى ذلك أن الرحلة إلى فلسطين كانت تتعرض أيضاً لكثير من المخاطر وكانت تكلف مالاً كثيراً لعرفنا أن الأغنياء فقط هم الذين كانوا يقدرون على القيام بهذه الرحلة فى العصر الوسيط . وهؤلاء كان فى قدرتهم دفع هذا « الموجب »وغيره من الأتاوات التى يُطلب منهم دفعها طالما أن فى ذلك تأمين لأرواحهم وأموالهم .

غير أن ما جرى عليه العرف من دفع « موجب الخفر وموجب السلطان » وإن كان « ظلماً » مالبث أن اكتسب بمرور الزمن صفة شرعية ونصّت عليه المعاهدات التى عقدتها الدولة المملوكة مع الفرنج . ومن أمثلة هذه المعاهدات التى وصلت إلينا تلك المعاهدة التى عقدها السلطان فرج بن برقوق مع فرسان القديس يوحنا (الاسبتاريه) برودس فى عام ١٤٠٣ . فحتى ذلك الوقت كان رهبان القديس يوحنا المقيمين فى فلسطين لا يزالون يتمتعون برعاية بعض الأماكن المسيحية المقدسة ويشرفون على رعاية حجاج الفرنج أثناء تأديتهم الحج[٩٥] .

ففى هذه المعاهدة وردت الفقرة التى تنص على أن ، (جميع الحجاج الذين يأتون لزيارة كنيسة القيامة وغيرها من المزارات المسيحية المقدسة لا يُجبى منهم إلا الرسوم المقررة ، أى الرسوم التى كان معمولاً بها حتى سنة ١٣٦٥ ؛ وهى السنة التى حاول فيها الفرنج الاستيلاء على الاسكندرية .) وقد اتفق فى هذه المعاهدة على تحديد هذه الرسوم بمبلغ ٦٣ درهماً من الفضة .

ولم يكن هذا كل ما كان يدفعه الحاج ، وإنما كان عليه أن يفتح كيس نقوده على طول الطريق منذ أن تطأ قدماه ميناء يافا إلى أن يغادر الأراضى المقدسة . وقد توصل رهبان القديس يوحنا إلى الاتفاق فى هذه المعاهدة على « تعريفة » معينة لما يدفعه الحاج من أتاوات إلى الأشخاص الآتية ، وفى الأماكن التالية :—

— بحارة يافا	١	درهم
— الشَّاد والمباشرون بالرملة	١	»
— نائب القدس	٣	»
— حارس كنيسة القديس صمويل	١½	»
— حارس كنيسة للمهد ببيت لحم	١	»
— حارس برج سيدنا داود	٢	»
— الحارس عند مكان عبور نهر الأردن	٢	»
— حارس بيت عنيا وتربة لعاذر	١½	»

غير أن ما اتفق عليه فى هذه المعاهدة [٩٦] لم يكن يمثل الواقع ، فقد كانت مجموع الرسوم والأتاوات التى يدفعها كل حاج تتجاوز هذه المبالغ بكثير . فكلما ازدادت الحالة الاقتصادية فى البلاد سوءاً وازدادت حاجة الدولة إلى المال ، ازدادت بالتالى الرسوم التى كانت تُجبى من كل حاج .

وباستقراء رحلات الحجاج الأوروبيين إلى بيت المقدس طوال القرن الخامس عشر نجد أن مجموع الرسوم بلغ فى مطلع ذلك القرن ٧

دوكات Ducat ذهبيه[٩٧] ، ثم أخذ فى الارتفاع شيئاً فشيئاً حتى وصل فى سنة ١٤٨١ إلى ١٤ دوكات ذهبيه[٩٨] .

كما لم يقتصر الأمر على دفع الأتاوات إلى الأشخاص القائمين بالخدمة والحراسة فى الأماكن التى حددتها معاهدة سنة ١٤٠٣ ، وإنما كان على كل حاج أن يكون سخياً فى عطائه أثناء تجوله فى الأراضى المقدسة سواء مع الجند وأمراء المماليك ، أو مع حراس الكنائس والمزارات ، أو مع أصحاب الدواب الذين يتكفلون بنقلهم من مكان لآخر[٩٩] .

وفضلاً عن ذلك كان على الحاج أن يدفع للقنصل الذى يتبعه ومن يُلحق بالعمل معه من التراجمة المعتمدين لدى السلطان مبلغاً نظير رعايته والإشراف عليه والقيام بالترجمة له وارشاده فى مناسك الحج والزيارة . وهؤلاء القناصلة والتراجمة كانوا يؤدون نظير السماح لهم بذلك رسماً لصالح ديوان الخواصّ الشريفة[١٠٠] :

وإذا كانت المراجع العربية لم تفصح لنا عن مقدار ذلك الرسم ، ولا عن كيفية جبايته ، فإن معاهدة سنة ١٤٠٣ المعقودة بين فرسان القدس يوحنا والسلطان فرج قد أوضحت لنا ما كان متبعاً — فى ذلك الصدد — فى فلسطين . فقد نصّت هذه المعاهدة على أن يدفع قنصل فرسان القدس يوحنا بالقدس (لديوان الخواصّ الشريفة) عن كل حاج من الحجاج الذين يشرف عليهم مبلغ أربعة دراهم فضية (بندقيه)[١٠١] ، وفى مقابل ذلك يسمح له أن يتقاضى من كلٍ منهم

درهم فضه عند وصولهم إلى الرمله ، وثمانية دراهم فضه عند وصولهم إلى القدس[١٠٢] .

كما كان قنصل كلٍ من البندقيه وجنوه يتقاضى من كل حاج من الحجاج الذين يشرف عليهم مبلغاً مماثلا[١٠٣] . هذا وتشير كتب الرحالة والحجاج الأوروبيين إلى أن القناصل كثيراً ما كانوا يستغلون مواطنيهم ، بل إن الجشع بلغ بهم حداً جعلهم يتحولون إلى تجار يبيعون لهم النبيذ بأغلى الأسعار[١٠٤] .

وفى القدس كان على الحجاج أن ينتظروا حتى يوم سبت النور الذى تفتح فيه أبواب كنيسة القيامة للقيام بالزيارة الأولى للقبر المقدس . وفى مدخل الكنيسة كان يشرف « ناظر كنيسة القيامة » على جباية « موجب السلطان » من كل حاج ، بعد أن يدون كل منهم ، فى اقرار من نسختين ، اسمه الشخصى واسم عائلته ، وسنه ، وجنسيته ، وجميع الأوصاف المميزة له كطول القامة ولون العينين وشكل الوجه ، ثم يبصم على كل نسخة بيده ، وترسل احداها إلى القاهرة وتبقى الثانية بالقدس[١٠٥] .

وكان هذا الموجب ، وقدره خمس دوكات ذهبيه ، يجبى من الحجاج المدنيين فقط ، وأما الرهبان فكانوا معفيين من دفع هذا الموجب . غير أنه كان يُجبى من كل منهم ٢ دوكات ذهبية لصالح بطريرك بيت المقدس[١٠٦] . ومن ثمَّ فإن كثيرين من الحجاج كانو يتخفون فى زىّ الرهبان للتمتع بهذا التخفيض الكبير[١٠٧] .

وأما عن الزيارتين الثانية والثالثة بالنسبة للكاثوليك ، فقد كان على كل حاج أن يدفع رسماً مخفضاً قدره ٤ دراهم فضية بندقية عن الزيارة الثانية ، تخفض إلى درهمين فضه بندقيه عن الزيارة الثالثة(١٠٨) .

ومن كان منهم يريد زيارة القبر المقدس ، فيما عدا هذه الزيارات الثلاث المسموح بها رسمياً ، فقد كان عليه أن يدفع مقابل ذلك رسماً كبيراً يصل فى بعض الأحيان إلى عشر (١٠) دوكات ذهبية(١٠٩) .

وفضلاً عن ذلك كان على كلٍ منهم إرضاء ناظر كنيسة القيامة(١١٠) ومن يأتمر بأمره من حراس الكنيسة الذين كان يبلغ عددهم حوالى خمسة عشر حارساً(١١١) .

• • •

ومن المؤكد أن كل هذه الرسوم على اختلاف أنواعها كانت تجبى من جميع الحجاج – مدنيين ورهباناً – على السواء . فمعاهدة سنة ١٤٠٣ المعقودة مع رهبان القديس يوحنا أقرت هذه الرسوم ، وإنما فى صورة مخفضة أنفق عليها . كما أن تكرار مطالب الرهبان الفرنسسكان بإعفائهم من هذه الرسوم ومما يُجبى على ما يُحمل إليهم من أوطانهم لما يؤكد جبايتها على الرغم من النص على إعفائهم منها فى المراسيم الصادرة إليهم من وقت لآخر(١١٢) .

بل إن القرائن تشير إلى جباية هذه الرسوم بأنواعها المختلفة من

جميع طوائف الرهبان الشرقية الأخرى : ملكيين ويعاقبه ، وكرج (جورجان) وحبوش ، وروم وقبط . فالمرسوم الذى أصدره السلطان الغورى فى شهر محرم ٩١٩ / مارس ١٥١٣ ينص على مسامحة جميع هذه الطوائف الشرقية ، وعلى عدم إكراههم على دفع أى موجب أيا كان نوعه ، وذلك لأن هذه المسامحة إنما هى حق ثابت لهم بمقتضى ما بيدهم من عهدات وسجلات ومربعات شريفه .

وليس هذا فحسب ، بل نص هذا المرسوم ـ الصادر قبيل سقوط الدولة المملوكية ببضعة سنوات ـ على أن مطالبة الرهبان بتأكيد إقرار هذا الحق لهم إنما جاء نتيجة تجاهل السلطات المملوكية لما كان مقرراً لهم من مسامحات على اختلاف أنواعها ـ للقادمين منهم فى يافا ، وغزّة ، واللد ، والرملة ، والقدس . كما طلبوا زيادةً فى الحرص أن ينقش ذلك المرسوم على رخامة تلصق بباب كنيسة القيامة[١١٣] .

هذا وتشير مجريات الحوادث التاريخية إلى أن هذا المرسوم الخاص بطوائف الرهبان الشرقية لم يصدر إلا بدافع تحقيق المساواة بينهم وبين طوائف الرهبان الغربية ، ولا سيما طائفة الرهبان الفرنسسكان . ففى العام السابق (٩١٨ / ١٥١١) تمت تسوية النزاع بين السلطان الغورى وجمهورية البندقية ؛ وهى التى تم بمقتضاها عودة العلاقات التجارية بين البلدين ، وإطلاق جميع تجار الفرنج ورهبان الفرنسسكان الذين كانوا معتقلين بالقاهرة ، وفتح كنيسة القيامة وعودة الحجاج الأوروبيين إلى زيارة الأراض المسيحية المقدسة[١١٤] .

وواضح أن الهدف من إصدار هـذه المراسيم لجميع طوائف الرهبان، شرقيين وغربيين ، والتى تقرر حقهم فى المساحة من جميع هذه الرسوم، إنما هو تشجيع الحجاج الأوروبيين والشرقيين على أداء فريضة الحج وخاصة فى هـذه الفترة الأخيرة من حياة الدولة المملوكية التى اشتدت فيها حاجتها إلى المال بعد أن تحولت تجارة الشرق إلى أسواق لشبونه عن طريق رأس الرجاء الصالح .

وإذا كانت حاجة الدولة إلى المال ـ وخاصة منـذ بداية العصر الثانى للمماليك ـ هى التى تفسر فى المقام الأول تجاهل السلطات المملوكية لهـذا الحق المقرر لجميع طوائف الرهبان بوصفهم رجال دين منقطعين للتعبـد ، فهناك سبب آخر ساعد هذه السلطات على تبرير تجاهلها لهـذا الحق . هـذا السبب يكمن فى النظام الجمركى الذى كانت تطبقه السلطات المملوكية إزاء الفرنج فى موانيها بمصر والشام . فبمقتضى هـذا النظام كان المـكس الذى يُجبى من كل تاجر من تجار الفرنج (عن شخصه) هو ٢ دوكات ذهبية مضافاً إليها ١٠ ٪ (العشر) كمـكس عما يحمل معه من متجر . وأما الحجاج فقد كان يُجبى من كل منهم (عن شخصه) ٥ دوكات ذهبية ، وأما الرهبان فقد كان إعفاؤهم أمراً مقرراً .

ونظراً لهذا التفاوت الكبير فـيما كان يُجبى من التجار والحجاج والرهبان فإن كثيرين من الحجاج كانوا يتخفون فى زىّ التجار أو فى زىّ الرهبان[١١٥] . بل هـــذا كان ما يحدث أيضاً عند الزيارة الأولى لكنيسة القيامة ، فإن كثيرين من الحجاج كانوا يتخفون فى زىّ الرهبان للتمتع بهذا الرسم المخفـض الذى كان يتمتع به الرهبان ، والذى كان يجبى لصالح بطريرك بيت المقدس[١١٦] .

الفصل الرابع

دراسة مقـــارنة

(ا) الحج فى الإسلام والمظالم المالية

(ب) أهل الشام والمظالم المالية

هذه هى صورة عامة تصور لنا ـ بقدر ماسمحت به المراجع ـ ما كان يجبى من الحجاج المسيحيين ، رهباناً وغير رهبان . وإذا ما أخذنا بعين الاعتبار الظروف الواقعية التى تحيط بموضوع الحج ، والتى تجعل من الحاج وهو فى هذه الأماكن المقدسة أكثر بذلاً وسخاءاً ابتغاء مرضاة الله عنه فى أى مكان آخر ، فإن هذه الصورة العامة تتسم — على الرغم من كل ذلك — بطابع المغالاة وإستغلال العاطفة الدينية لابتزاز المال . هذا فضلا عن عدم شرعيتها فى جوانب كثيرة منها .

والشىء الذى أريد أن أوضحه وأؤكده فى هذه الدراسة أن هذه الصورة لا ترجع فى مسبباتها إلى شىء البتة من التعصب الدينى ؛ فهذا أبعد ما يكون عن الحقيقة . وليس هناك من دليل لتأكيد هذا المعنى ـ مهما سقنا من أدلة ـ أبلغ من أن نضع فى الجانب المقابل الصورة العامة لما كان يلقاه الحجاج المسلمون . وسنرى أن هذه الصورة المقابلة لاتختلف عن الأولى فى قليل أو كثير .

ولنحاول رسم الصورة المقابلة ، فى شىء من الإيجاز ، وفى إطار من التجرد العاطفى . وفى هذا المجال يبدو من الأفضل أن نترك النصوص التاريخية المستخرجة من أوثق المصادر تتحدث عن نفسها كشواهد حية مجسمة ، لا فضل للمؤرخ سوى وضعها فى موضعها الصحيح . وإذا كان هناك من تحفظ يستوجبه الحكم التاريخى الصحيح على طبائع

الأشياء ، فإن هذا التحفّظ الذى يجدر الإشارة إليه ، هو ماتعرفه جميعاً عن مدى ارتباط الحج فى الإسلام بالتجارة ومدى ما كانت تتعرض له قوافل الحج من أخطار الطريق ؛ فضلاً عما هو معروف عن حاجة أهالى الحرمين .

وكما بدأنا الحديث عن موضوع الحج فى الأراضى المسيحية المقدسة ، فلتكن الفترة المعاصرة لصلاح الدين هى نفسها نقطة البداية فى محاولتنا رسم هذه الصورة المقابلة ، ثم علينا أن نتتّبعها — حسبما تسمح به النصوص — حتى نهاية العصر المملوكى .

وليكن ابن جبير رائدنا الأول ؛ فهو الرحالة الذى جاء من أقصى الغرب لأداء فريضة الحج . إنه يصور لنا ، أبلغ تصوير ، ما كان يتعرض له الحجاج المسلمون إلى أن قام صلاح الدين فى سنة ٥٧٢/ ١١٧٦ — ١١٧٧ يرفع ما كان يجبى منهم من مكوس ومن زكاة أموالهم حسبما استقر عليه الأمر منذ أيام الفاطميين . فمنذ نزول الحجاج المغاربة إلى ميناء الإسكندرية يصف لنا ماحدث لهم لاستخراج الزكاة منهم بقوله :

[فمن أول ماشاهدنا فيها يوم نزولنا أن طلع أمناء إلى المراكب من قبل السلطان بها ، لتقييد جميع ما جلب فيه . فاستحضر جميع من كان فيه من المسلمين واحداً واحداً ، وكتبت أسماؤهم وصفاتهم وأسماء بلادهم وسُئل كل واحد عما لديه من سلع أو ناضّ ، ليؤدى زكاة ذلك كله ، دون أن يُبحث عما حال عليه الحول من ذلك أو مالم يُحلْ .

وكان أكثرهم متشخّصين لأداء الفريضـــة لم يستصحبوا سوى زادٍ لطريقهم ، فلزّموا أداء زكاة ذلك ، دونه أن يُسأل أحال عليه الحول أم لا . واُستنزل أحمد بن حسّان منا ليسأل عن أبنـاء المغرب وسلع المركب . فطيف به مُرقّباً إلى السلطان(١١٧) أولاً ثم على القاضى ثم على أهل الديوان ، ثم على جماعــة من حاشية السلطان ، وفى كُلٍ يُستفهم ثم يقيد قوله : فخُلّىَ سبيله ، وأمر المسلمون بتنزيل أسبابهم ، وما فَضُل من أزودتهم ، وعلى ساحل البحر أعوان يتوكلون بهم ، ويُحمل جميع ما أنزلوه إلى الديوان . فاستدعوا واحداً واحداً ، وأحضر ما لـكل واحدٍ من الأسباب ، والديوان قــد غصّ بالزحام . فوقع التفتيش لجميع الأسباب مادقّ منهــــا وماجلّ واختلط بعضها ببعض وأُدخلت الأيدى إلى أوساطهم بحثاً عما عسى أن يـكون فيها . ثم اُستحلفوا بعد ذلك هل عندهم غير ما وجدوا لهم أم لا . وفى أثناء ذلك ذهب كثير من أسباب الناس لاختلاط الأيدى ، وتـكاثر الزحام ثم أُطلقوا بعد موقف من الذل والخزى عظيم ، نسأل الله أن يعظم الأجر بذلك(١١٨) .

كما يعود ابن جبير إلى وصف ماتعرّض له الحجّاج مرةً أخرى برسم إستخراج الزكاة منهم أيضاً عند وصولهم إلى أخميم ، وقوص ومُنية ابن الخصيب(١١٩)

ويعقب ابن جبير على وصفه بأن هذه لا محالة من الامور الملبّس فيها على السلطان الـكبير المعروف بصلاح الدين الذى يعد من مفاخره

رفع المكس الذى كان يجبى من الحجاج زمن العبيديين . وفى هـذا يقول :

[ومن مفاخر هـذا السلطان المزلفة من الله تعالى ، وآثاره التى أبقاها ذكراً جميلاً للدين والدنيا : إزالته رسم المكس المضروب وظيفةً على الحجاج مدة دولة العبيديين . فكان الحجاج يلاقون من الضغط فى استيدائها عنتاً مجحفاً ، ويسامون فيها خطة خسف باهظة . وربما ورد منهم من لافضل لديه على نفقته، أو لا نفقة عنده ، فيُلزم أداء الضريبة المعلومة ، وكانت سبعة دنانير ونصف دينار من الدنانير المصرية ، التى هى خمسة عشر ديناراً مؤمنية(١٢٠) على كل رأس ، ويعجز عن ذلك ، فيُتناول بأليم العذاب « بعَيذاب » فكانت كاسمها مفتوحة العين . وربما اخترع له من أنواع العذاب التعليق من الانثيين ، أو غير ذلك من الأمور الشنيعة ، نعوذ بالله من سوء قدره . وكان « بجدّة » أمثال هـذا التنكيل وأضعافه لمن لا يؤدّ مكسه بعيذاب ووصل اسمه غير معلّم عليه علامة الاداء . فمحا هذا السلطان هذا الرسم اللعين ، ودفع عوضاً عنه ما يقوم مقامه من أطعمة وسواها(١٢١) ، وعين مجبى موضعٌ معين بأسره لذلك ، وتكفّل بتوصيل جميع ذلك إلى الحجاز لأن الرسم المذكور كان باسم ميرة مكة والمدينة ، عمّرها الله ، فعوّض عن ذلك أجمل عوض ، وسهّل السبيل للحجاج وكانت فى حيز الانقطاع وعدم الاستطلاع وكفى الله المؤمنين على يدى هـذا السلطان العادل حادثاً عظيماً وخطباً أليما(١٢٢)] .

ولـكن هل استمر سقوط المـكس عن الحجاج ؟ إن الشواهد تثبت عكس ذلك ، وعلى الأخصّ طوال عصر المماليك . فالمقريزى فى حديثه عن حوادث سنة ٦٦٧ هـ يقول :

[وقع خلف فى مكة بين الشريف نجم الدين أبى نُمىّ وبين عمه الشريف بهاء الدين ادريس أمير مكة ، ثم اتفقا ، فرتّب لهما السلطان عشرين ألف درهم نُقره فى كل سنة ، وألاّ يُؤخذ بمكة لاحدٍ مكس ، ولا يُمنع أحـدٌ من زيارة البيت الحرام ، ولا يُتعرض لتاجر ، وأن يُخطب للسلطان فى الحرم والمشاعر ، وتُضرب السـّكة باسمه ، وكتب لهما تقليداً بالإمارة وسُلمت أوقاف الحرم التى بمصر والشام لنوابهما(١٢٣)] .

ثم يعود المقريزى فى حديثه سنة ٦٨٣ هـ عن الشريف أبى نمىّ بعد أن استبد بالامر بمكة . فيقول ، [إنه اشتد على الحجاج فى الجباية] مما دفع السلطان قلاوون إلى إرسال تجريدة لمحاربته ، ثم انتهى الامر بالاتفاق معه والخلعة عليه(١٢٤) .

وفى حديثه عن حوادث سنة ٧١٩ هـ يقول المؤرخ نفسه :

[أبطل الناصر محمد (بن قلاوون) سائر المـكوس من الحرمين، وعوّض أمير مكة والمدينة عنها اقطاعات بمصر والشام ، وأحسن إلى أهل الحرمين وأكثر من الصدقات(١٢٥)] .

وعلى الرغم من كل ذلك ظلّ أشراف مكة يجبون المـكوس من الحجاج ، مما اضطر السلطان الأشرف شعبان إلى إعادة إصدار مرسوم

سلطانى فى هذا الصدد ، ورفع ما كان يُدفع لهم كتعويض مقابل إسقاط المكوس عن الحجاج . وفى هذا يقول الفاسى فى حديثه عن حوادث سنة ٧٦٦ هـ :

[فى هذه السنة رسم السلطان الملك الأشرف شعبان بإسقاط ما على الحجاج من مكوس بمكة فى ساير ما يُحمل إليها من المتاجر سوى الكارم(١٢٦) وتجار الهند وتجار العراق ، وأسقط المكس المتعلق بالمأكولات . وعوّض صاحب مكة عن ذلك ثمانية وستين ألف درهم من بيت المال المعمور بالقاهرة وألف أردب قمحاً ، وقرر ذلك فى ديوان السلطان ، وأوصى ذلك الولاة بالديار المصرية إلى تاريخه ، وكتب خبر هذا الإسقاط فى أساطين بالمسجد الحرام من جهة باب الصفا وغيره(١٢٧)] .

هذا ويبدو أن الفاسى أخطأ فى ذكر المبلغ الذى عوّض به صاحب مكة عن ذلك . فمرسوم الأشرف شعبان لا يزال موجوداً حتى اليوم فى صورته الأصلية على خمسة من أساطين المسجد الحرام ، والذين أُتيحت لهم فرصة قرآئة هذا المرسوم اتفقوا على أن المبلغ المذكور هو مائة وستون ألف درهم(١٢٨) ، وليس ثمانية وستين ألفاً كما ذكر الفاسى.

وإذا كان أشراف مكة قد كفّوا عن جباية المكوس بمكة من الحجاج بعد أن منحوا هذا التعويض الضخم ؛ فإن عبيدهم تصدّوا لجباية المكس من الحجاج الأمر الذى دفع السلطان المملوكى إلى تعويضهم عن ذلك مقابل كفّ أيديهم . وفى هذا يقول ابن خلدون أثناء حديثه عن الأمير عجلان أمير مكة الذى توفى سنة ٧٧٧ هـ :

[فى أيامه قُطع ما كان لعبيدهم على الحاج من المكس ، ورُتب لهم فى ديوان السلطان عليها عطاء يتعاهدهم أيام الموسم ، وكان ذلك من حسنات صاحب مصر(١٢٩)] .

وكان لا بد أن يؤدى طمع أمراء مكة وعبيدهم على هذا النحو إلى أن يطمع فيهم آخرون أقوى وأعظم نفوذاً منهم . ومن ثم وجدنا فى القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى ظاهرةً جديدةً بالنسبة لموضوع الحج تتمشّى مع الظاهرة العامة السائدة فى الدولة المملوكية وقتذاك ، وهى ظاهرة فرض الأُتاوات والمقرّرات المالية . فوجدنا أمراء الركب المصرى للحجاج يفرضون على كلٍ من أمير مكة والمدينة مبلغاً يُدفع لكل أميرٍ منهم كل عام ؛ الامر الذى أدى إلى تدخل سلاطين المماليك لإعفاء أمراء المدينتين من ذلك .

وفى هذا يقول ابن حجر فى حديثه عن السلطان الظاهر طَطَر سنة ٨٢٤ هـ :

[كتب الظاهر ططر مراسيم لامراء مكة والمدينة بالإعفاء من التقادم التى كانوا يدفعونها الأُمراء الذين يحجون ، نخفّف عنهم بسبب ذلك ظُلم كان يعم الناس ، لانهم كانوا يقترضون مال ذلك من التجار ، ولا يطمع أحد منهم فى الوفاء . وشرط فى المرسوم أنه لا يعرض أحدٌ من الأُمراء لتجار الكارم ولا للمجاورين باقتراض ، ولا نوع من أنواع الظلم ، وأن يُنقش ذلك على العواميد التى فى أبواب الصفا(١٣٠)]

ولكن هذه الظاهرة لم تتوقف ، بل نجد أنها امتدت أيضاً إلى أمير

ينبع ؛ مما دفع السلطان جقمق إلى إصدار مرسوم مماثل فى سنة ٨٤٤ هـ .
وفى هذا يقول المقريزى :

[خرج محمل الحاج (فى ١٩ شوال) . خرج فى هذه السنة ثلاثة من أمراء الألوف ... ... وكتب السلطان إلى الشريف بركات وإلى أمير المدينة النبوية وإلى أمير ينبع بإعفائهم مما كانوا يقومون به من المال لامير الركب فى كل سنة . وأكّد السلطان على الأمراء عندما ودعوه ألا يأخذوا من المذكورين شيئاً ، فما أجمل هذا وأحسنه إن عُمل به(١٣١)] .

وصدق المقريزى فى ظنه ، فقد رسخت هذه الظاهره ، بل أصبحت فى الفترة الأخيرة من حياة الدولة المملوكية عادة معترف بها ، ولاغضاضة فيها . ففى سنة ٨٩٦ هـ بلغ المبلغ الذى كان على أمير مكة أن يدفعه لأمير الركب المصرى خمسة آلاف دينار ، ولما لم يستطع أن يدفع له سوى أربعة آلاف فقط فقد اضطر إلى أن يقترض من أمير ينبع الألف الخامسة(١٣٢) .

ومن الطبيعى أنه كلما اشتدت وطأة أمراء الركب على أمراء مكة والمدينة وينبع اشتدت وطأة هؤلاء الأخيرين على الحجاج . وفضلاً عن ذلك فقد تحول أمراء الركب إلى الحجاج ، فأصبحنا نرى أمير الركب يفرض على كل حاج فى ركبه دفع مبلغ معين نظير حمايته أثناء الرحلة إلى الحجاز(١٣٣) .

وإذا ما انتقلنا إلى الشام لوجدنا أن حجاج الشام كانو يتعرضون

لمثل ما تعرض له اخوانهم حجاج الركب المصرى . وقد أمدتنا المصادر — على الرغم من ندرتها — بنوعٍ من المقرّرات التى كانت تُجبى منهم لضمان سلامة الركب ، ولـكن لم يلبث الأمر أن تطور إلى المغالاة فى أبتزاز الأموال منهم بسبب ذلك .

فمنذ عهد السلطان بيبرس ، وعلى وجه التحديد ، منذ سنة ٦٨١هـ جرى العرف على أن يُجبى عن كل جمل بالركب عشرون درهماً ، يدفع من حصيلتها مبلغ ١٠٫٠٠٠ آلاف درهم بقصد مداراة العربان الذين يمر الركب بهم فى طريقه إلى الحجاز ، وما يتبَقى يُدفع لأهل الحجاز والفقراء .

غير أنه بمرور الزمن اتّسمت هذه العادة بالمغالاة ، الأمر الذى جعل حجاج الشام يجأرون بالشكوى . وقد سجلت لنا مجموعة المراسيم المملوكية بالشام هذه الحالة ؛ إذ تضمّنت مرسوماً للسلطان برسباى بتاريخ ٤ من شوال سنة ٨٣٧ هـ يقضى بإبطال ما كان يؤخذ ممّن يتوجه إلى الحجاز الشريف من الشاميين (أهل دمشق) والحلبيّين والأرمن وغيرهم من المسلمين الذين ينتظمهم ركب الشام[١٣٤] .

وعلى الرغم من ذلك فقد ظلت هذه العادة جارية ؛ ففى سنة ٨٧٨ هـ أصدر السلطان قايتباى مرسوماً يقضى بإبطال ما يُؤخذ على الحاج من مكس ، وما يُؤخذ عن كل جملٍ من جمال الركب الشامى . كما يقضى المرسوم بألا يتعرّض أحدٌ لميراث من يتوفى وهو فى طريقه

إلى الحج إلى حين تسليمه إلى مستحقه[١٣٥] . ولا ريب أن هذين المرسومين لايصوران الا جانباً من الحقيقة .

* * *

وعلى هذا النحو تكون قد وضحت هذه الصورة المقابلة أمامنا وعرفنا منها — على وجه اليقين — أن الحجاج المسلمين فى العصر الوسيط كانوا يتعرّضون لمثل هذه المظالم المالية التى كان يتعرض لها الحجاج المسيحيون .

والأمر كذلك فيما يختص بالنوع الثانى من هذه « المظالم المالية » التى تعرض لها الرهبان الفرنسسكان بوصفهم مقيمين فى فلسطين . فقد تذ ّوق جميع من بالشام ، مواطنين ومقيمين ، مسلمين ومسيحيين ، رهباناً وغير رهبان مرارة هذه الكأس حتى الثمالة . وفى هذا المجال يجدر بى أن أشير إلى أن بلاد الشام قاست من هذه السوءة العامة للعصر المملوكى أضعاف ما قاسته مصر .

وإذا كانت المصادر الخاصة بالعصر المملوكى أغفلت ـ إلى حدٍ كبير ـ التحدث عن أحوال بلاد الشام فى ظل السيادة المملوكيـــة ، فإن مجموعة المراسيم المملوكية الخاصة بالشام ، والتى تزيد عن المائة وخمسين مرسوماً قد كشفت فى صورةٍ واضحةٍ عن جوانب هامةٍ من جوانب الحياة فى بلاد الشام فى هذه الفترة .

فهذه المراسيم تقضى بإبطال أنواع متعددة لا حصر لها من المظـــالم المالية التى تمتد إلى جميع ألوان النشـــاط البشرى فى ذلك العصر الوسيط

فلم تستثنى منها عامة الرعية فى معظم مدن الشام ، ولا طائفة من الطوائف ، سواء من أصحاب الوظائف ، أو من التجار ، أو من أصحاب الحرف والصنائع ، أو من المتسبّبة لقوت يومها فى أية سلعة من السلع .

والظاهرة العامة التى تتضح لكل من يلقى نظرة على هذه المجموعة من المراسيم أن تاريخ إصدارها يرجع إلى بداية ونهاية عهود معظم سلاطين المماليك استجلاباً لرضاء الله والناس ، وأنها تنتهى بصيغة تقليدية عامة . هذه الصيغة هى تقرير إبطال هذه المظلمة أو تلك إبطالاً مستمراً على الدوام باقياً على مر الدهور والأيام ، وتُنزل لعنة الله والناس أجمعين على كل من يُجدّدها أو يسعى فى تجديدها[١٣٦] . وهى نفس الظاهرة التى لمسناها بالنسبة لمجموعة المراسيم المملوكية الصادرة إلى رؤساء دير صهيون من الآباء الفرنسسكان .

وفى هذا المجال — يبدو لى — أن إحالة القارىء على مقال الأستاذ ڤيت WIET الذى عرّف فيه بمجموعة المراسيم المملوكية بالشام[١٣٧] لا يكفى لإزالة الفكرة الخاطئة التى صوّر بها الرهبان الفرنسسكان وضعهم فى فلسطين ؛ أى أن ما حلّ بهم من مظالم إنما مبعثه الاضطهاد والتعصّب الدينى ضدهم . ومن ثمّ فإن الأمر يقتضى أن أقدّم بعض النماذج من هذه المراسيم — وفى عباراتها الأصلية — لكى تتضح للقارىء هذه الظاهرة التى عمّت مدن الشام ، وقاسى منها الرهبان الفرنسسكان مثلما قاست بقية الطوائف من المواطنين والمقيمين .

فإلى القارىء بعض هذه النماذج مع الاكتفاء بذكر مضمون كل مرسوم نظراً لما يتطلّبه الأمر من إيجاز .

القدس

١ — جمادى الآخر سنة ٨٥٣[١٣٨]

[برز المرسوم الشريف السلطاني . . . .
بأن يُبطل ماعلى الذمة بالقدس الشريف من الخدمة والقدوم عند
حضور النائب الجديد وعند الباسه خلعة وأن لا يكلفوا سواء
الجزية الشرعية ومنع المقدّمين والبلّاصين من التعرض اليهم وان
يـكون ناظر الحرمين الشريفين متكلما عليهم ... ...]

٢ — سنة ٨٥٤[١٣٩]

[ورد مرسوم مولانا السلطان الملك الظاهر ابو سعيد
محمد جقمق عزّ نصره بابطال ماأحدثه ابو الخير ابن النحّاس من
ضمان مار يعقوب دير الارمن بالقدس الشريف ... ...]

٣ — ذى القعدة سنة ٩٠٢[١٤٠]

[... ... ... رسم السلطان ... ... بابطال ما
جُدّد على القصّابين والمتسبّبين بالقدس الشريف من الحمايات والرمايات
والمظالم وان يبيعوا اللحم بسعر الله تعالى ولا يؤخذ منهم لحم
بغير قيد ثمن ... ...] .

— دمشق

٢٧ رمضان سنة ٨٣٨[١٤١] .

[... ... ... ورد مرسوم السلطان ... ...
يتضمن ابطال ما احدث فى ايام الامير سودون من عبد الرحمن
كافل المملكة الشامية كان من المظلمة وهى رفع يد شاد الشراب
خاناه ومنع كلامه عن اهل دمشق وغيرهم من القناواتيه والسواديه
والمعماريه وعمل القناحيث كانت من غير قطع مصانعة وابطال
رمايته اعلى (هكذا) القساطل ابطالا مستمرا ... ...]

٥ — شوال سنة ٨٧٣[١٤٢]

[... ... ... ورد مرسوم شريف ... ...
بابطال ماحدث على كرك نوح عليه السلام من المظلمة والحوادث
وانه لايتجدد عليهم ظلما (هكذا) ولا يكلفوا الدرهم الفرد
غير العوائد القديمة ... ...] .

— حلب

٦ — ١٧ ربيع الآخر سنة ٨٤٦[١٤٣] .

[... ... ... ورد المرسوم ... ... بابطال
مكس الكتّان من خان الكتان ... ...] .

— طرابلس

٧ — مستهل شعبان سنة ٨٥١ (١٤٤)

[... ... ... ورد مرسوم شريف ... ... بابطال ما تجدّد على عوامّ القدموس والكهف والمنيقة والعليقة والخوابى من الاعمال الطرابلسية من الثياب الخام ودورة الإستادار ... ... وان لا يحدث عليهم حادث ولا يجدّد عليهم مظلمة ... ...]

— حماه

٨ — شوال سنة ٨٧٤ (١٤٥).

[... ... ... وردت المراسيم الشريفة من حضرة مولانا السلطان قايتباى ... ... الى كل واقف عليه من كفّال الممالك الاسلامية وقضاة قضاتها ذوى المذاهب الاربع بابطال ما كان اتخذته كتّاب السّر بالديار المصرية على مناصب الحكم والقضاء وعزل من يرتشى على شيء من الاحكام الشرعية وان احداً منهم لا يتعاطا على الاحكام رشوة لا من نوابهم بالمعاملات ولا جعالة على احكام ولا يلتمس احد منهم شيئاً ... ...].

— حمص

٩ — ٢٩ ربيع الأول سنة ٨٩٦ (١٤٦).

[امر بابطال جميع المظالم وما تجدّد على الحيّاك من المغارم

المقرّ ... ... نائب السلطنة الشريفة بحمص المحروسه . .....]

— اللاذقيه

١٠ — صفر سنة ٨٥٠(١٤٧)

[... ... ... ورد المرسوم ... ... بابطال ما على الرعيّة بجبل الاقرع وهو فى كل سنة الفى (هكذا) درهم ... ...] .

— سرمين

١١ — رمضان المعظّم سنة ٨٣٦(١٤٨) .

[ورد مرسوم شريف ... ... بابطال المظالم من على وقف الجامع الكبير بسرمين وان يوضع البيان لوقفه حيث شاء الناظر ويرفع حيث شاء من غير مشورته لاحد ولا يعارض الوقف المذكور احد ... ...]

— شيزر

١٢ — سنة ٨٤١(١٤٩) .

[رسم بالامر الشريف ... ... بابطال الخفر والمظلمة المحدثة الذى (هكذا) كان نائب شيزر يتبادلها ... ...] .

— بعلبك

١٣ — جمادى الآخر سنة ٨٢٤[١٥٠].

[... ... ... بابطال حق الشهر الذى جُدّد على الطحانين والخبازين والسوقة وغيرهم والّا يجدّد عليهم مظلمة ... ...]

— مصياف

١٤ — رمضان سنة ٨٧٠[١٥١]

[... ... ... بابطال ماعلى مدينة مصياف والرصافة ومعاملتها من مكس القزّ ابطالا شرعيا ... ...]

— عجلون

١٥ — ٨ صفر سنة ٨٧٠[١٥٢].

[المرسوم بالامر الشريف العالى المولوى السلطانى الملكى الظاهرى خشقدم ... ... ان يبطل جميع ما احدث الامير جرباك الذكرى على اهل عجلون وهو ضمان سوق الغزل والقطن ودلالة ثوب الخام والبساتين والجبايات والمظالم جميعا ... ...]

الملاحق

ملحق رقم (١)

دير صهيون(١)

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين

شهوده الواضعون خطوطهم آخره، ومن سيكتب عنه باذنه من اهل العلم الشافى فيما يشهدون به انهم يعرفون جميع الدير الكاين بظاهر القدس الشريف المعروف بدير صهيون وله حدود اربعة ثلاثة منها للفلاة وواحد وهو الرابع لمقابر الفرنج وغيرهم من النصارى المذكور فى فصل السؤال المسطر اعلاه المعرفة الشرعية. ويشهدون مع ذلك شهادتهم بها عالمون ولها محققون لايشكون فيها ولا يرتابون ان الدير المذكور اعلاه رومى من جملة الاديرة الرومية العتيقة المزمنة القديمة وهو قايم على اصوله من قديم الزمان بظاهر القدس الشريف بارض فلاة بعيد عن العمران ليس بجواره بنا لمسلم وانه معد لاقامة الرهبان الفرنج يتداولونه جماعة من جماعة من قديم الزمان والى تاريخه وان من حقوقه عُليَّة بسطح الدير المذكور شهرتها عُليَّة صهيون الفوقانية هى من جملة الاماكن التى بالدير المذكور المعدة لصلاة المقيمين بالدير المذكور من الفرنج والمترددين إلى الدير المذكور من النصارى، ارتفاع بناءها القديم من سطح الدير المذكور المزمن عشرة اذرع بذراع العمل وكان

(١) Norberto Risani, O. F. M: Documenti E Firmani, Gerusalemme 1931—XVIIL. Documento, pp. 181—188.

ذلك مبنى بالحجر والشيد والطين . وكان سقفها معقودا قبوا بمثل ذلك ، وان العلية المذكورة انهدم اكثر سقفها المعقود وبقى منه قطعة لطيفة وانهدم اكثر حيطانها وبقى البعض. وانهدم من الحايط الدايرة على جميع الدير المذكور من داخل الدير ومن خارجه اماكن متفرقة كانت مبنية بمثل ماذكر اعلاه ورموا فى الاماكن المتهدمة احجار بغير مون ولا بنايه ولم يمنع ذلك المتعرضين لمن فى الدير . وكان ارض الدير المذكور مبلطة من قديم الزمان لضرورة الامطار والمياه والثلوج لا للزينة فانقلع بعض ذلك من توالى الازمنة عليه وحصل الضرر بسبب ذلك . وبهذا الدير المذكور قلالى برسم سكنى الرهبان من الفرنج والزمنى والمنقطعين من النصارى العاجزين عن السعى . وابنية ذلك مزمنة عتيقة من عهد بناء الدير المذكور فتهدم من ذلك اماكن هم خمس قلالى وحصل الضرر بذلك . يعلم شهوده ذلك ويشهدون بما فيه مسئولين وكتب ذلك السؤال من جاز سؤاله شرعا فى حادى عشر جمادى الآخرة سنة احدى واربعين وثمان ماية حسب الاذن الكريم العالى المولوى القاضوى الامامى العاملى العلامى المجتهدى الحبرى الخاشعى الاصيلى البليغى العريقى المحقق المدقق الرحلى الحججى الشيخى الحاكمى البدرى شيخ الاسلام اوحد المجتهدين الاعلام حجة المتكلمين قاضى المسلمين خالصة امير المؤمنين العينى الحنفى الناظر فى الاحكام الشرعية بالديار المصرية وساير الممالك الشريفة السلطانية امام دهره ووحيد عصره

ادام الله تعالى ايامه واعز احكامه واحسن إليه واسبغ نعمته عليه المنص خطه الكريم اعلاه شرفه الله تعالى واعلاه وحسبنا الله ونعم الوكيل .

شهد بمضمونه
محمد بن حسن بن
محمد الحنبلي

شهد بمضمونه
عماد بن محمد بن محمد
التاجر السفار
عرف بالخليلي وكتب
عنه بإذنه وحضوره

شهد بمضمونه
الحاج محمد بن محمد بن محمد
عرف بزفزوق
وكتب عنه بإذنه
وحضوره

شهد بمضمونه
على بن محمد بن عمر
الحريري بالقدس
وكتب عنه بإذنه
وحضوره

شهد بمضمونه
الحاج يوسف بن بهادر
الساعي عرف بالقدسي
وكتب عنه بإذنه
وحضوره

شهدت الخمسة
عندي بذلك
وقبلوا .

ملحق رقم (٢)

مرسوم السلطان خشقدم (١)

الاسم الشريف

مرسوم شريف الى كل واقف عليه من المقر والجناب الكريمين الكفيلي والكافلي كافلي السلطنة الشريفة بالشام وحلب المحروستين اعزّ الله تعالى نصرهما والجنابات والمجالس العالية والسامية الكافلية نواب السلطنة الشريفة بطرابلس وحماه وصفد وغزّه والقدس الشريف وناظر الحرمين الشريفين بهما وكاشف الرملة ونابلس والاستاذ دار المتولى قبض مالى الجرجان والحكام وولاة امور الإسلام بالممالك الإسلامية ضاعف الله تعالى وادام نعمتهم ان يتقدموا باعتماد ماتضمنه هذا المرسوم الشريف والعمل بمقتضاه على ماشرح فيه

---

(١) Norberto Risani, O. F. M : Documenti E Firmani, Gerusalemme 1931 —XXV Decumento, pp. 290—316.

— قارن ذلك المرسوم بالمنشور الذى أصدره الخليفة الفاطمى الظاهر الى رهبان القبط بمصر ، وبالمناشير الثمانية التى أصدرها خلفاء الفاطميين ، الحافظ ، والظافر ، والفائز ، والعاضد الى رهبان دير سانت كاترين والتى نشرها Stern فى كتابه Fâtimid decrees وكذلك بالمراسيم التى أصدرها سلاطين المماليك إلى رهبان دير سانت كاترين والتى نشرها Ernst فى كتابه :

Die Mamlukischen Sultan Surkunden des Sinai—Klosters.

بسم الله الرحمن الرحيم

رسم بالامر الشريف العالى المولوى

خشقدم(١)

السلطانى الملكى الظاهرى السيفى اعلاه الله تعالى وشرفه وانفذه فى الافاق وصرفه

يعتمد

ان يسطر هذا المرسوم الشريف الى كل واقف عليه من المقر والجناب الكريمين العاليين الاميرين الكبيرين الكفيلى والكافلى السيفيين كافلى

السلطنة الشريفة بالشام وحلب المحروستين اعز الله تعالى انصارهما والجنابات والمجالس العالية والسامية الكافلية السيفية نواب السلطنة الشريفة بطرابلس وحماه وصفد وغزه والقدس الشريف وناظر الحرمين الشريفين بهما وكاشف الرملة ونابلس والأستاذ دار المتولى قبض مال الجرجان والحكام وولاة امور الاسلام بالممالك

---

(١) جرى العرف فى كتابة بعض المراسيم المملوكية على أن تكتب العلامة السلطانية «توقيع السلطان» فى هذا المكان من المرسوم بدلا من كتابتها فى نهاية المرسوم ـ أنظر :
Stern : Fàtimid Decrees, pp. 157—159.
وأنظر أيضا ، بصفة عامة ، الدراسة التى قام بها شترن للطريقة التى كانت تتبع فى كتابة المراسيم الخاصة بعصر الإسلامية ، فى الفصل الثالث من كتابه المذكور بعنوان :
Diplomatic Commentary

الاسلامية ضاعف الله تعالى وادام نعمتهم يبـــدى ويوضح لعلمهم الـكريم .

المبارك ان المحتشم الموقر الارخس[١] القديس فخر طايفته واهل ملته الرايس بدير صهيون وعين كارم وبيت لحم وكبير طايفة الفرنج المقيمين بالقدس الشريف ودير صهيون وجميع الرهبان المقيمين والواردين الى القدس الشريف رفعوا قصة لمواقفنا الشريفة انهوا فيها احوالهم وسالوا صدقاتنا الشريفة فى شمولهم بنظرنا الشريف وبعدلنا الشامل وان يجدد لهم مرسوما شريفا مطلقا على حـكم ما بايديهم من المراسيم الشريفة من الملوك السالفة وهم الظاهر

بيبرس والمنصور قلاوون والناصر محمد والناصر حسن واخوته و الاشرف

شعبان والظاهر برقوق والناصر فرج والمؤيد شيخ وولده المظفّر والظاهر ططر وولده الصالح والاشرف برسباى والظاهر جقمق والاشرف اينال ومرسومنا الشريف ايضا يتضمن ما نذكر فيه وهو انه

اذا حضرت بريدية او خاصكية او غيرهم الى القدس الشريف لا يكلفوا ولا يلزموا بكلفة ولا تسفير الا ان كان لهم اسما

(١) كلمة يونانية معناها الرئيس .

وان كان علي احد من طايفة الفرنج او من اجناس النصارى مطالبة فلا يلزموا بها

ولا تلزم طائفة الرهبان بتسفير ولا كلفة الا ان كان لاحد اسم وان هلك

الرايس بدير صهيون او احد من الرهبان او من الجرجان يكون موجوده

للرهبان المذكورين ويمكنوا من دفن من هلك ولا يعارضوا فى ماكلهم

ومشربهم ويفسح لهم فى شرآ العنب لمشروبهم اذا لم يحصل به نفع للمسلمين ويمكنوا من مشروبهم ومعايشهم ونقلها من دير الى دير ومن كنيسة الى كنيسة على جارى عادتهم القديمة ويمكنوا من التوجه الى بلادهم وضروراتهم والعودة الى محلهم بترجمان وبغير ترجمان ولا يلزموا بقرض ولا معاملة وتمكين الرهبان من الدخول الى قمامة عندما تفتح بغير كلفة وتمكين الرايس بدير صهيون من اقامة اثنين وثلاثين او اربعين بقمامة واخراجهم اذا اراد واستبدالهم بغيرهم علي جارى العادة ويمكنوا من تلبيس مساكنهم وتلبيس اسطحتهم لدفع الضرر من المطر على الوجه

الشرعى ولا يطلب منهم غرامة ولا قطع مصانعة ولا يلزموا بما علي احد يموت من الفرنج البنادقه وغيرهم الا بوجه

شرعى ولا يجبر المذكورون على فتح ديورتهم وكنايسهم ببيت لحم وعين كارم الا برضاهم ويمكنوا من الدار المجاورة لديرهم وترميم اماكنهم

التي يحتاجون اليها للسكن ولا يثاقلهم احد من الحكام بالقدس الشريف لا من الناظر ولا النايب ولا الوالى ولا غيرهم ولا يقطع لهم

احد مصانعة ولا تمنع الصدقة المحضرة اليهم من بلادهم ولا يعارضهم فيها احد من الخفرا والشادين بالمين والسواحل والطرقات وغير ذلك ولا يعارضوا فى جميع مزاراتهم بالاماكن التى لهم بها عادة ودخولهم فيها وفعل شرايطهم واعيادهم التى اقتضاها دينهم وخلاص حقوقهم ممن يتعين فى جهته واذا حصلت عليهم شكوى من القدس الشريف يعطى درهم واحد فضة او درهمين ولا يطالبوا ولا يكلفوا بشىء جملة كافية

على جارى عادتهم القديمة واذا اعتدى احد من طوايف الفرنج على احد من المسلمين فى البحر او البر لا يلزم الرهبان بذلك لانهم تركوا الدنيا واشتغلوا بعبادة الله بالديورة المذكورة واذا حصل لاحد من الرهبان من احد من الحكام بالقدس الشريف وغيره ضرر وقصد الحضور الى الابواب الشريفة يمكن من الحضور ولا يمنع واذا حضر احد من البريدية لا يتعرض اليهم فى بيوتهم ولا فى

مساكنهم ولا يقصدهم بضرر جمـلة كافية وان لا يطلب الرهبان
المقيمون بدير صهيون وبيت لحم وعين كارم القدس الشريف بسبب
القسايم التى كتبت عليهم ولا يلزم بها الا القناصلة لا غير وانه من
قصد من الجرجان والفرنج التردد الى دير صهيون وبيت لحم يمكن
من ذلك على العـادة ولا يمنع اجهار الندا لهم بالحماية من الضرر
والتشويش والامان والاطمئنان وكف الأذا

عنهم وعن غلمانهم واتباعهم واجرآيهم واجرآ تجارهم على جارى
العوايد عمـلا فى ذلك بالعدل الشريف وان يتقدم الكاشف بالرملة
بكتابة قسايم شريفة على الخفرا بالرملة ويافا بعدم معارضة الرهبان
المذكورين جملة كافية على جارى عاداتهم وان لا يتعرض احـد الى
الرهبان الواصلين لمينا يافا المعروفين برهبان الحبل من المكارية بالرملة
وغيرهم ولا يغصبوهم للركوب معهم غصبا ولا يتكلم فى ذلك الا
رئيسهم بدير صهيون وعين كارم وبيت لحم وكذلك التراجمة بالرملة
والقدس الشريف لا يتعرضوا الى الفرنج فى ترجمة إلا ان كان بيده
من يقصد التعرض اليهم مرسوم شريف او منشور شريف بالترجمة
ومن لم يكن بيـده مرسوم شريف ولا منشور شريف لا يتعرض
اليهم جملة كافية وان يمكن غلمانهم واتباعهم من السفر حيث شاؤا
من غير معارض لهم وسال الريس بدير صهيون والرهبـــان ان
لا يكرهوا على ضمان احد من الفرنج ولا غيرهم وان لا يلزموا بكتب

قسايم ولا حلف حيث يشق ذلك عليهم فى دينهم وانه اذا حدث
طلب بالقدس الشريف على النصارى واليهود بسبب تكسير او غير
ذلك لا يلزم الريس بالدير المذكور ورهبانه بشىء من ذلك وان
يعفوا من ساير المغارم والمظالم وان يمكن الريس بدير صهيون من
ارسال رهبانه حيث شاؤا من ساير الممالك لاستعطا ما يقوم باودهم
وابطال ما كتب على رهبانه فى غيبته بسبب ذلك واذا سافر
رهبانهم بحوايجهم وضروراتهم وغابوا سنتين واكثر فى اشغال
ديرهم تكتب اسماؤهم عند المباشرين بحيث انهم اذا عادوا لا يلزموا
بكلفة ولا موجب واذا استبدل الريس رهبانا من ديره برهبان
بيروت لا يؤخذ منهم موجب على عادتهم وانه اذا خرج راهب بغير
اذن ريسه ووقع منه شيئا ناقصا فلا يلزم الريس ولا رهبانه بذلك
واذا حضر طايفة الجرجان والتجار والرهبان وغلمان التجار لزيارة
قمامسة واقاموا بما عليهم من الموجب يمكنون من الدخول ثلاث مرار
من غير تعويق على عادتهم ومنع من يقصد قطع مصانعتهم بسبب ذلك
واذا حضر الى القدس الشريف خاصكى او بريدى او غيرهم بسبب
تكسير

خمر النصارى واليهود وحصل مغرم فلا يلزم الرهبان بتكسير
ولا كلفة واذا توجه الرهبان الى بحر الشريعة وغير ذلك من
المزارات لا يكلفوا لخفرا ولا لقطع مصانعة وانه اذا حضر جرجان

او فرنج من البر او البحر وحصل لهم قطع طريق عليهم واخذ موجودهم فلا يلزم الرهبان ولا يلزموا غصبا بموجب المذكورين لا فى ايام مستحق المقر الكريم الكفيلى .

كافل المملكة الشامية المحروسة ولا فى بسط السنة اذا شكاهم احد بغير حق وغرموا شيئا يرجع على من شكاهم بذلك واذا فتحت قمامة للزيارة وقصد حوايج كنائسهم ورهبانهم الدخول لها يمكنوا من ذلك بغير كلفة الدرهم الفرد على جارى عادتهم

لا يمكن احد من طوايف النصارى من الدخول الى اماكنهم بغير رضاهم ومنع من يقصد ضررهم فهذا مضمون ما بايديهم من المراسيم الشريفة وما سالوا فيه صدقاتنا الشريفة وقد رسمنا لهم الآن باستمرارهم على ذلك حملا على حكم ما بايديهم من المراسيم الشريفة

المتقدمة من الملوك السالفة سقى الله تعالى عهدهم حين اقتضاه الشرع الشريف ومرسومنا لكل واقف عليه ومستمعه وناظر إليه ان يتقدموا بمنع من يحدث على المذكورين حادث او يجدد عليهم مظلمة وحملهم على حكم ما بايديهم من المراسيم الشريفة المشار إليها

حيث اقتضته الشريعة المطهرة وكف اسباب الاذا والضرر عنهم ومعاملتهم بالمعدلة الشريفة ومنع من يتعرض لهم بسوء ولا يكلفوا ما لا طاقة لهم به ولا عادة عليهم ومنع الوالى والبلاّصية

والمشاة وغيرهم من دخول ديرهم وقطع مصانعتهم والتشويش عليهم
واذا دخل ريس جديد وخرج من قبله لا يكلف احد منهما الى مغرم
ولا يلزم بكلفة ومن اعتمد خلاف ما رسمنا به من ذلك وما تضمنته
مراسيم الملوك السالفة تبرز المراسيم الشريفة

باحضاره الى الابواب الشريفة عملا بالعدل الشريف واعتماد ما
بايديهم من المرسوم الشريف والمربع من ديوان الجيوش المنصورة
المؤرخ بحادى عشرين

شهر ربيع الاول سنة ست وستين وثمانية والعمل به والوصية
بهم ومنع من يتعرض اليهم

بغير طريق مبين قولا واحدا وامرا جازما والمراسيم الشريفة
تؤكد عليهم فى ذلك

غاية التاكيد والاعتماد على الخط الشريف اعلاه[١] حجة
فيه بمقتضاه .

ان شا الله تعالى

كتب فى ثامن عشرين شهر صفر المبارك
سنة تسع وستين وثمانية

---

(١) أنظر الحاشية السابقة.

المرسوم الشريف

الحمد لله وحده وصلواته على محمد وآله وصحبه وسلامه

حسبنا الله ونعم الوكيل

ملحق رقم (٣)

مرسوم السلطان الغورى[1]

(١) بسمله ... المرسوم بالامر الشريف العالى المولوى السلطانى الملكي الاشرفى السيفى اعلاه الله تعالى وشرفه وانفذه وصرفه (٢) ان لا يكرهوا جماعة الرهبان النصارى والرهبانيات (هكذا) الملكيين واليعاقبة بموجب ولا بخفر ولا بظلم عند دخولهم قمامة القدس الشريف اسوة رهبان (٣) الكرج والحبوش ولا عند دخولهم الى مينا يافا ولا عند خروجهم من يافا ولا فى مدينة غزه ولا فى رملة لدّ الواردين من الرهبان والرهبانات (هكذا) من المذكورين (٤) فى البرّ والبحر وكل ناحية لزيارة بيت المقدس مستمر حكم ذلك من تقادم السنين من غير احداث حادث ولا تجديد مظلمة ومنع من يتعرض اليهم بسبب ذلك اوفى كنيرهم (هكذا) (٥) وهى تربتهم التي يدفنو (١) بها ولا يتعرض احد الى موتاهم ولا لبوابهم ومسامحة

---

(١) Van Berchem (M.) : C. I. A., 2eme partie —Syrie du Sud, Jérusalem«Ville», T. I. — Fasc. I (M. I. F. O. du Caîre, T. 43, Le Caire 1922), Decret No. 108, pp. 378 — 379 (نص المرسوم) pp. 380—402 (شرح المرسوم) .

— المرسوم منقوش على لوحة رخامية مثبتة على الجدار على يسار الداخل من باب كنيسة القيامة

الرهبان والرهبانات من طايفة الروم والقبط من الموجب بالاعمال المذكورة (٦) فى البسط والموسم على جارى عادتهم ومنع من يعارضهم فى ذلك حملا فى ذلك على ما بيدهم من المربعات الشريفة السالفة والمربع الشريف الاشرفى الذى بيدهم (٧) عند انهاءهم انهم رهبان واهل ذمة وسنقطعين وان بيدهم عهدات وسجلات ومربعات شريفة شاهدة لهم بذلك وسالوا كتابة هذا المرسوم الشريف (٨) بذلك جميعه وان ينقش شرح ذلك برخامة وتلصق بباب القمامة وليصير ذلك تذكرة بعدل مولانا المقام الشريف عزّ نصره على ممر الدهور والايام صدقة عليهم عند تمثل القس صفرونس[١] (٩) الراهب الملكى ورقعته لدى المواقف الشريفة فرسم لهم بذلك بمقتضى القصة المرفوعة عن الرهبان والرهبانات المشمولة بالخط الشريف حسب الامر الشريف شرفه الله تعالى وعظمه (١٠) بتاريخ اليوم المبارك التاسع من شهر الله المحرم الحرام سنة تسع عشرة وتسعمائة والحمد لله وحده مُصَلِّيًا ومسَلِّمًا على مَن لاَ نَبِيَّ بَعْدَهُ .

---

(١) صفرونيوس .

ملحق رقم (٤)

واقعة قبر داود عليه السلام والقبة المحدثة عند دير صهيون والكشف على دقماق ناظر الحرمين ونائب القدس الشريف(١)

وفيها [سنة أربع وتسعين وثمانمائة] فى شهر صفر أحدث النصارى المقيمون بدير صهيون كنيسة ظاهر القدس الشريف بالقرب من الدير زعموا أن مكانها مقام السيدة مريم عليها السلام وأحكموا بناءها وجعلوا بها من جهة الشرق الهيكل الذى يعمل فى الكنائس وصارت كنيسة محدثة بدار الاسلام . وكان المساعد لهم دقماق النائب وأذن لهم بالبناء بمال بُذل له ولغيره فى ذلك ...

... ...

... ...

وفيها ورد مرسوم شريف فى شهر شعبان على يد قاصد من باب الأمير أزبك أمير كبير يتضمن أن رهبان دير صهيون أنهوا أن من حقوق ديرهم جميع القبو المجاور له وكان مدفنا لموتاهم وأن جماعة من

---

(١) مجير الدين الحنبلى : الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، طبعة القاهرة سنة ١٢٨٣هـ ، الجزء الثانى ، ص ٦٧٦ — ٦٨٢ .

المسلمين زعموا أن به قبر داود عليه السلام وبنوا به محرابا للقبلة وليس الأمر كذلك وأن العلماء أفتوا بأنه من استحقاق النصارى ولا يجوز أن يكون مسجدا لكونه مقبره . وبرز الأمر بتحرير ذلك وتسليم القبو للنصارى ومنع من يعارضهم ، وعُقد مجلس بدار النيابة بحضرة القضاة وقصد بعض الناس اعانة النصارى على انتزاعه من المسلمين فعزّ ذلك على أهل الاسلام لكونه بأيديهم وبه قبلة الى الكعبة المشرّفة فخذل الله النصارى ومساعديهم وانصرف المجلس من غير شيء . وسنذكر تتمة هذه الحادثة فى السنة الآتية إن شاء الله تعالى .

ثم دخلت سنة خمس وتسعين وثمانمائة ... ...

... ...

وفيها اشتد الأمر بسبب التجريدة لقتال بايزيدخان بن عثمان ملك الروم وتجهيز الرجال من جبل القدس وجبل الجليل وغيرهما . وتوجه الأمير أزبك أمير كبير وصحبته الأمراء والعساكر فلما وصل الى مدينة الرملة كتب مرسومه الى بيت المقدس الى مشايخ الاسلام والقضاة بسبب رهبان دير صهيون وما أنهوه من جهة القبو الذى يقال أن به قبر داود عليه السلام ، وأن يحرّر الأمر فيه ، وإذا تبين أنه من استحقاق النصارى بالطريق الشرعى يُسَلّمْ اليهم .

فعُقد مجلس لذلك بالمدرسة التنكزية بحضرة شيخ الاسلام الكمالى ابن أبى شريف وشيخ الاسلام النجمى بن جماعه ودقماق ناظر

الحرمين ونائب السلطنة والقضاة . ودار الكلام بينهم فى تحرير أمره وكتبوا محضرا يتضمن أن هذا المكان به محراب الى جهة القبلة وأنه بأيدي المسلمين من تقادم السنين . وكتب العلماء والقضاة والفقهاء خطوطهم بالمحضر ولم يُلتفت الي النصارى ولا الى من يساعدهم فى ذلك .

واقعة قبر داود عليه السلام والقبة المحدثة عند دير صهيون والكشف على دقماق ناظر الحرمين ونائب القدس الشريف

وفيها عقب ما تقدم ذكره من أمر النصارى كتب شيخ الاسلام الكمالى ابن أبى شريف للسلطان مكاتبتين احداهما ذكر فيها أن المسجد الأقصى الشريف قد اختل نظامه واحتاج الى العمارة واقامة الشعائر . والثانية فى معنى القبة التى أحدثها النصارى عند دير صهيون وأنها صارت كنيسة محدثة ، وما وقع بسبب القبو الذى يقال إن به قبر داود عليه السلام . وجهز المكاتبتين للسلطان (١) فعُرضتا عليه واقترن بذلك كثرة الشكاوى على دقماق نائب القدس لما يصدر منه من الظلم والجور وقطع الطرق فى أيامه .

فجهز السلطان خاصكيا اسمه أزبك بالكشف على النائب

---

(١) الأشرف قايتباى .

وكتب مرسوم شريف مطلق بما وقع على النائب من شكوى الرعية وما يعمل فى حقهم وأن يُحرّر أمره ويُعاد الجواب على المسامع الشريفة . ومرسوم ثانٍ مختص بالشيخ كمال الدين جوابا لمكاتبتيه المتقدم ذكرهما وأن يُحرّر أمر المسجد الأقصى الشريف وما هو يحتاجٍ اليه من العمارة ، وأن يُنظر فى أمر القبة التى أحدثها النصارى عند دير صهيون ، واذا كان البناء مخالف للشرع يُهدم ويُحرّر أمر قبر داود عليه السلام ويُعمل ما يقتضيه الشرع الشريف واعادة الجواب بما يتحرّر من ذلك .

فوصل الخاصّكي الى بلد سيدنا الخليل عليه السلام وجلس بالمسجد الشريف الخليلى وحصل الكشف على النائب بمدينة سيدنا الخليل فكثرت عليه الشكوى بسبب سماط سيدنا الخليل عليه السلام وما يحصل منه من الضرر لأهل بلد الخليل ، وكُتب محضر بخط القاضي وأهل البلد .

ثم حضر الخاصّكى والنائب صحبته فدخلا الى القدس الشريف فى يوم الخميس آخر جمادى الآخرة وجلسا فى محراب المسجد الأقصى وجلس مشايخ الاسلام والقضاة والخاص والعام وقُرئ المرسوم الشريف الوارد بالكشف على النائب،والمرسوم الثانى بسبب النصارى وما أحدثوه وضجّ الناس وأكثروا من الشكوى على النائب

وافحشوا له فى القول . واصبح الناس فى يوم الجمعة جلسوا فى المجمع سُفْل المدرسة الأشرفية وشرعوا فى الكشف على النائب ، وادّعى عليه كثير من الناس عند قضاة الشرع الشريف بأمور انكر بعضها واعترف ببعض .

هدم القبة

فلما كان يوم السبت ثانى شهر رجب توجه شيخ الاسلام النجمى ابن جماعة ودقماق النائب وأزبك الخاصّكى والقضاة والخاص والعام الى دير صهيون ، وجلسوا بداخل القبة التى أحدثها النصارى وتكلموا فى أمرها. فتحرّر من أمرها أن النصارى أنهوا أن بقرب دير صهيون قبراً يسمى القبر المنسى ، وأنه يُقصد للزيارة وأن مرادهم البناء عليه ، وأثبتوا محضراً أن هذا المكان هو القبر المنسى ، فبنوا القبة المذكورة اعتماداً على أن القبر المنسى تحتها .

فلما جلس العلماء والقضاة للتحرير تبيّن الأمر بخلاف ما أنهوه لمقتضى أن القبر المنسى فى موضع آخر بالقرب من القبة فى حاكورة هناك وأمره مجهول لا يُعلم ما هو ، وأن المدفون به حيث كان مسلماً فلا مدخل للنصارى فى البناء عليه . وتحرّر أن محل القبة المذكورة انما هو المكان الذى تزعم النصارى أنه مقام السيدة مريم عليها السلام،وقد بُنيت القبة المذكورة على صفة الكنائس وبها هيكل الى جهة الشرق.

فلما اتضح ذلك أُقيمت البيّنة عند القاضى بدر الدين بن الحمامى الشافعى أن القبة المذكورة محدثة فى دار الاسلام وأن المتولى لبنائها رئيس دير صهيون ورجل آخر من النصارى بسعيهما فى ذلك ، وحضرا بالمجلس وسألهما القاضى عن ذلك فاعترفا ببنائها وأنهما هما المتسبّبان فى ذلك فألزمهما بهدمها ونفّذ له بقية القضاة الأربعة ما صدر منه من الالزام بالهدم(١) .

وأما القبر الذى يُقال إن به قبر داود عليه السلام فتحرّر من أمره أنه كان قديماً بأيدى النصارى وحصل فيه نزاع كثير من المسلمين فى الزمن السالف من نحو مائة سنة، ورُفع أمره الى الملوك السالفة ، منهم الملك المؤيد شيخ والاشرف برسباى وغيرهما، وكتبت مراسيم شريفة فى أمره وكثر النزاع فى الزمن السالف بين المسلمين والنصارى بسببه، وكان تارةً يأخذه المسلمون وتارةً يسترجعه النصارى . ولم يزل أمره فى تخبط الى زمن الملك الظاهر جقمق رحمة الله عليه ، فرُفع أمره اليه وكان من أمره ما تقدم شرحه فى ترجمته سنة ست وخمسين وثمانمائة ، واستقر قبر داود من ذلك التاريخ بأيدى المسلمين بمرسوم الملك الظاهر جقمق وبُنى به قبلة الى جهة الكعبة المشرّفة، وبالقبو المذكور محراب موجّه الى جهة صخرة بيت المقدس وبه صفة قبر يقال إنه قبر داود عليه

---

(١) أنظر ص ٣٣ — مقام السيدة مريم وجهود القيصر غليوم الثانى .

السلام[١] . ووُلّى النظر عليه الشيخ يعقوب الرومى الحنفى عالم الحنفية بالقدس الشريف،وكتب له مربّعات حسبةً من الملك الأشرف اينال والملك الظاهر خشقدم بمرتب يُصرف للمكان المذكور ، واستمر بأيدى المسلمين الى عصرنا من غير منازع ، وتحرّر أمر ذلك على الصفة المذكورة ولم يُتبين للنصارى ما يقتضى استحقاقهم له ولا ما يُسوغ انتزاعه من المسلمين .

فعند ذلك جلس شيخ الاسلام والقضاة والأعيان بالقبو المذكور وقرأوا القرآن وذكروا الله تعالى ومدح النبىّ صلى الله عليه وسلم وكان يوماً مشهوداً أعزّ الله فيه الاسلام وأعلى كلمة الايمان ، فللّه الحمد والمنّة . ثم انصرف الناس الى داخل المدينة للكشف على النائب ، وحصل الاتفاق مع النصارى أنهم فى اليوم الثانى ، وهو نهار الأحد، يهدمون ما أحدثوه من بناء القبة المذكورة وانفصل الأمر على ذلك .

فلما دخل الناس إلى المدينة ... ...

... ...

---

(١) أنظر الحاشية رقم ٢٩ ، ص ١٣٥ .

... ...

... ...

وكُتبت محاضر بما وقع فى أمر القبة وهدمها بحكم الشرع الشريف وما تحرّر من أمر قبر داود عليه السلام وأنه تبين أنه بأيدى المسلمين من تقادم السنين وما وقع فيه من القراءة والذكر ، وكتب شيوخ الاسلام والقضاة والفقهاء خطوطهم على المحاضر . ولما حضر الخاصّكى بالكشف كان القاضى المالكى شمس الدين بن مازن بغزة فحضر بعد الشروع فى الكشف بنحو ثلاثة أيام وكتب خطه مع الجماعة على المحاضر .

وأصبح الناس فى يوم الأحد فى الشروع فيما يتعلق بالكشف على النائب وحصل الشديد من الخاصّكي عليه وأغلظ عليه فى القول ووضعه فى الترسيم وكتب الجواب للسلطان بمحاضر عليها خطوط أعيان بيت المقدس بما تحرّر من أمر النائب وسوء سيرته وما اعتمده فى حق الرعية من الظلم وعدم سلوك الطريق الحميدة وخراب المسجد الأقصى الشريف ، وجُهّزت المحاضر على يد الإمام ناصر الدين محمد بن الشنتير إمام الصخرة الشريفة .

THE SEPULCHRE OF DAVID, KINC OF ISRAEL

JERUSHALAIM is surrounded by high mountains, and on mount Tsion are the sepulchres of the house of David and those of the kings who reigned after him. In consequence of the following circumstance however, this place is hardly to be recognized at present. Fifteen years ago, one of the walls of the place of worship on mount Tsion, fell down, which the patriarch order'd the priest to repair. He commanded to take stones from the original wall of Tsion and to employ them for that purpose, which command was obeyed. About twenty Journey-men were hired at stated wages, whe broke stones from the very foundations of the walls of Tsion. Two of these labourers, who were entimate friends, upon a certain day treated one another, and repaired to their work after their friendly meal. The overseer questioned them about their tardiness, but they answer'd that they would still perform their days work, and would employ their upon the time, during which their fellow labourers were at meals. They then continued to break out stones and happen'd to meat with one, which formed the mouth of a cavern. They agreed with one another to enter the cave and to search for treasure, in pursuit of which they proceeded onward until they reached a large hall, supported by pillars of marble encrusted with gold and silver, and before which stood a table with a golden

---

The Itinerary of Rabbi BENJAMIN of TUDELA, translated and edited by A. ASHER, New-York, vol. I, pp. 72—75.

sceptre and crown. This was the sepulchre of David, King of Israel, to the left of which they saw that of Sh'lome in a similar state and so on the sepulchres of all kings of Jehuda, who were buried there. They further saw locked trunks, the contents of which nobody knew and desired to enter the hall, but a blast of wind like a storm issued forth from the mouth of the cavern, strong enough to throw them down, almost lifeless, on the ground. There they lay until evening, when another wind rushed forth, from which they heard a voice, like that of human being, calling aloud, get up and go forth from this place. The men came out in great haste and fnll of fear, proceeded to the patriarch and reported what had happen'd to them. This ecclesiastic summon'd into his presence R. Abraham El-Constantini, a pious ascetic, one of the mourners of the downfall of Jerushalaim, and caused the two labourers to repeat what they had previously reported. R. Abraham therupon informed the patriarch tbat they discover'd the sepulchres of the house of David and of the Kings of Jehuda. The fvllowing morning the labourers were sent for again, but they were found stretched on their beds and still full of fear, They declared thst they would not attenpt to go again to the cave, as it was not God's will to discover it to eny ane. The patrisrch order'd the place to be walled up, so as to hide it effectually from every one unto the present day. The above — mentioned R. Abraham told me all this.

ملحق رقم (٦)

مرسوم السلطان برسباى(١)

(١) بسمله (٢) لما كان بتأريخ الرابع من شوال عام سبع وثلاثين وثمان مائة (٣) ورد المرسوم الشريف العالىّ المولوىّ السلطانىّ الملكىّ الأشرفىّ (٤) أبو النصر برسباى خلّد الله تعالى ملكه على مولانا ملك الأمراء كافل (٥) المملكة الشاميّة المحروسة قصروه الأشرفىّ أعزّ الله تعالى أنصاره بابطال (٦) ما كان يؤخذ من المتوجّهين إلى الحجاز الشريف من المسلمين الصادرين وغير (م) (٧) واستمرار [با] طلاً ذلك عن كل من يتوجّه إلى الحجاز الشريف من أهل دمشق(٨) والحلبيين والأرمن أو غيرهم من جميع المسلمين ورسم بنقش هذه الحسنة لانقضاء (٩) ... ... الليالى والأيام ولعنة الله والملائكة (١٠) والناس أجمعين على من يتحدث فى ذلك أو ابطاله أو يسعى فى تجديده بعد ذلك (١١) وَسُيِطرَت هذه الحسنة فى فى صحائف مولانا السلطان خلّد الله ملكه وجعل معمور (١٢) الأرض ملكه والحمد لله

---

(١) Sauvaget : Decrets Mamelouks de Syrie, Bulletin d'Etudes Orientales, XII. No 38, pp. 7—8.

(المرسوم منقوش على رخامة مثبتة على جدار الجامع الأموى بدمشق)

ملحق رقم (٧)

مرسوم السلطان قايتباى .

(١) الحمد لله . لما كان بتأريخ العشر الأول من شوّال عام ثمان وسبعين وثمانمائة (٢) برز المرسوم الشريف السلطانى الملكىّ الأشرفىّ قايتباى عزّ نصره أنه (٣) اتّصل بمسامعه الشريفة أنه من ثمّ جدّد على الحاجّ بالمملكة الشاميّة مكساً (٤) وأخذ على كلّ جمل عشرة دراهم وأسفت الخواطر الشريفة من ذلك وبرزت (٥) المراسيم الشريفة بابطال ذلك وأن ينقش بذلك رخامة وأن لا يتعرّض الى (٦) ميراث من يتوفىّ بطريق الحاجّ بل يضبطه الحاكم الشرعىّ ويوضع (٧) تحت يد من ينوب به الى حين تسليمه لمستحقه شرعاً ليحصـ[ـل] الدعاء فى الصحائف الشريفة (٨) والحمد لله وحده وصلىّ الله على سيّدنا محمّد وآله وصحبه وسلّم تسليماً .

---

(١) Sauvaget : Decrets Mamelouks de Sgrie, Bulletin d'Etudes Orieutales, XII, No. 44, pp. 25—26.

(المرسوم منقوش على رخامة مثبتة على جدار الجامع الأموى بدمشق) .

الحواشي والتعليقات

١ — CASTELLANI (E.) : Catalogo dei Firmani ed altri documenti legali emanti in lingua arabe e turco concernati I Santuari, I proprieta I diritti della Custodia di Terra-Santa, Gerusalemme 1922.

٢ — GOLUBOVICH (G.) : Serie chronologica della Reverendissimi Superiori di Terra-Santa———, Gerusalemme 1898.

٣ — RISANI (N.) : Documenti E Firmani, Gerusalemme 1931.

٤ — PATREM (M.L.) : La custodie Franciscaine de Terre-Sainte, Paris 1879, p. 7.

٥ — STERN : Fatimid decrees, p. 157, note 3.

— يذكر شترن فى هـذه الحاشية أنه حصل بمساعدة بعض الآباء الفرنسسكان بروما والقدس على نسخة مصورة من هذا الـكتاب النادر الذى أصدره الأب ريشانى Risani والذى سبقت الإشارة إليه

٦ — انظر :

احمد دراج : المماليك والفرنج فى القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى ، القاهرة ١٩٦١

٧ — انظر عن وثائق ديرسانت كاترين : —

MORITZ (B.) : Sur les antiquités arabes du Sinai, dans Bull. de l'Inst. Égyptien, 1910.

: Beitrage zur geschichte des Sinai-Klosters im mittelalter nach arabischen quellen, in Abhandlungen der Konigl-Akademie der Wissenschaften, Jahrgang 1918.

ATIYA (A.S:) : The arabic treasures of the convent of Mount-Sinai. in Proceedings of Egyptian Society of Historical Studies, II, 1952.

ERNST (H.) : Die mamlukischen Sultan sur Kunden des Sinai-Klosters, Wiesbaden 1960.

STERN (S.M.) : Fatimid Decrees, London 1964.

٨ — PATREM (M.L.) : Op. Cit., pp. 12—13.

— COURET (A.) : Notice historique sur l'Ordre du St. Sépulcre de Jérusalem, Paris 1905, pp. 295—260.

٩ — PATREM (M.L.) : Op. Cit, p. 3.

١٠ — CLERMONT - GANNEU : Recueil d'archéologie orientale, T. II, pp. 254—255.

— VINCENT et ABEL : Jérusalem nouvelle, T. II, Fasc. III, p. 421.

— فى رواية أخرى أن هذا البيت هو بيت عنيا .

— عارف العارف ، تاريخ القدس ، ص ٢٧٣

١١ — جرت الكنيسة الكاثوليكية على الاحتفال بهذا التقليد فى يوم خميس العهد عند الغربيين : ومما يذكر بالخير لقداسة البابا السابق يوحنا الخامس والعشرين أنه أحيا هذا التقليد بعد أن كان قد توقف منذ أكثر من ثمانين عاماً (جريدة الأهرام ، عدد ١٩٥٩/٣/٢٤)

— ومن الصور التى خلدت العشاء الربانى الأخير الصورة التى رسمها ليوناردو دى ڤنشى فيما بين عامى ١٤٩٥ — ١٤٩٧ والتى لاتزال محفوظة بدير القديسة مريم بميلانو . وكذلك الصورة التى رسمها چوان ماسب

Juan Macip (توفى فى عام ١٥٧٩) والمخطوطة بمتحف برادو بمدريد.
وهاتان الصورتان تعتبران من روائع التصوير العالمى – انظر :

LAROUSSE : L'art des origines a nos jours, T. I, p. 287, 338

١٢— VINCENT et ABEL : Op. Cit, pp. 466—467.

١٣— — KLEINCLAUSZ : La légende du protectorat de Charlemagne, SYRIA, T. VII, p. 218.

— PERO - TAFUR : Travels and adventures, translated and edited by M. Letts, London 1946, p. 55.

١٤— — VINCENT et ABEL : Op. Cit, pp. 448—459, 459—464.

(وصف الكنيسة منذ بنائها حتى قيام الحروب الصليبيه، ثم فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر).

— MARMARDJI : Textes géographiques arabes sur la Palestine, p. 175.

(نقلاً عن الجغرافيين العرب).

١٥— COLLIN (B.) : Les frères mineurs au Cénacle, dans Etudes Franciscaines, nouvelle serie, No. 22, T. IX, Juillet 1959, p. 11.

١٦— — PATREM (M.L.) : Op. Cit, p. 12.

— COLLIN (B.) : Op. Cit, p. 7.

١٧— — PATREM (M.L.) : Op. Cit, p. 13.

— DE SESSEVALLE : Histoire génerale de l'Ordre de St. François, Premiére Partie, T. II, pp. 455—456.

— COLLIN (B) : Op. Cit, pp. 3—8.

— RONCAGLIA (M.) : Saint-Francis of Assisi and the Middle East, 3rd edition, Cairo Franciscain Center of Oriental Studies, Cairo 1957, p. 13.

١٨ — GOLUBOVICH : Biblioteca Bio-Bibliografica, T. V, p. 8.

١٩ — PERO - TAFUR : Op. Cit, p. 55.

٢٠ — VINCENT et ABEL : Op. Cit. p. 461.

٢١ — BENJAMIN OF TUDELA : The Itinerary, translated and edited by A. ASHER, vol. I, pp. 72—75.

— انظر الملحق رقم (٥)

٢٢ — VAN BERCHEM : CIA, 2eme partie, Syrie du Sud, Jérusalem "Ville", T. I, Fasc. II, p. 405.

٢٣ — مجير الدين الحنبلي : الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، الجزء الأول ، ص ١٠٥ — ١٠٦ . ينهى المؤرخ كلامه بأن هذا القبو فى أيامه (أى فى نهاية القرن التاسع الهجرى) بأيدى المسلمين

— عارف العارف ، تاريخ القدس ، ص ٢٣٨

٢٤ — KHITROWO : Itinéraires russes en Orient (De Smolensk, 1389-1405, p. 156-De Grethénios, 1400, p. 176-Zosime, 1419-1421, p. 212).

٢٥ — PERO - TAFUR (1435—1439) : Op. Cit, p. 54.

٢٦ — ADLER : Jewish travellers (Meshullam, 1481, p. 192 — Obadiah, 1488, p. 243).

٢٧ — LENGHERAND : Le voyage de Georges Lengherand, 1485—1486, p. 129.

٢٨ — THENAUD : Le voyage d'Outre-mer, 1512, p. 108.

٢٩ — يجد القارىء فى نهاية هذا البحث (الملحق رقم ٤) نص رواية مؤرخ القدس مجير الدين الحنبلى عن [واقعة قبر داود عليه السلام والقبة المحدثة عند دير صهيون والكشف على دقماق ناظر الحرمين ونائب القدس الشريف] ، وذلك فى عهد السلطان الأشرف قايتباى سنة ٨٩٤ و ٨٩٥ هـ . وفى هذه الرواية يحصر المؤرخ النزاع على هذا القبر ، منذ أن بدأ فى عهد السلطان المؤيد شيخ ، بين المسلمين ورهبان دير صهيون . ومما يجدر الإشارة إليه ان رواية مجير الدين الحنبلى هى الرواية العربية الوحيدة التى وصلت الينا فى هذا الصدد ، وهى تجافى الحقيقة فيما نشأ من نزاع على هذا القبر فى عهد المؤيد شيخ و برسباى . فالمصادر المغربية المتعددة أجمعت على أن هذا النزاع كان أصلاً بين اليهود والرهبان المقيمين بدير صهيون ، وأن المسلمين لم يصبحوا طرفاً فى هذا النزاع إلا بعد أن أمر السلطان جقمق فى سنة ٨٥٦ هـ بتحويل هذا القبر إلى مسجد وقيام المسلمين برعاية قبر بنى الله داود ، وذلك فضاً للنزاع الدائم عليه بين اليهود والرهبان — انظر دراستنا المفصلة لهذا الموضوع فى كتاب « المماليك والفرنج فى القرن التاسع الهجرى ، ص ٢٦ ومايليها (فى عهد المؤيد شيخ) ص ٣١ وما يليها (فى عهد برسباى) ، ص ٧٥ وما يليها (فى عهد جقمق) ، ص ٨١ ومايليها (فى عهد اينال) ، ص ١١٢ وما يليها (فى عهد قايتباى)

٣٠ — GOLUBOVICH : Biblioteca Bio-Bibliographica, IV, pp. 141—142.

(الفرمان صادر إلى بطريرك القدس دوروتيو Doroteo ويعدّد جميع الكنائس والأديرة التى بيد كل طائفة من طوائف المسيحيين)

٣١ — PATREM (M.L.) : Op. Cit, p. 20.

— DE SESSEVALLE : Op. Cit, p. 466.

— COLLIN (B.) : Les lienx-Saints, pp. 165—166.

٣٢ — يذكر عارف العارف (تاريخ القدس ، ص ٢٨٣) أن ضريح النبي داود بأيدى المسلمين من أوائل الفتح الإسلامى ، ويقوم على سدانته جماعة من آل الدجانى ، ويعرفون بالدواهده نسبة إلى النبي داود ، وكثيرا ما اختصم المسلمون مع الطوائف الأخرى من أجل الاحتفاظ به

٣٣ — COLLIN (B.) : Ibid.

٣٤ — عارف العارف، تاريخ القدس، ص٢٨١ (يوجد هذا المسجد بالقدس الجديدة خارج السور ، فى الحى المعروف بحى النبي داود)

٣٥ — VERNIERO (P.) : Chroniche O Annali di Terra Santa, I, pp. 127—130.

٣٦ — VON HAMMER : Histoire de l'Empire Ottoman, V, pp. 152—153.

(يعطى الكاتب ترجمة فرنسية لخطاب سليمان إلى فرانسوا الأول)

٣٧ — بخصوص هذه الحوادث التى أدت إلى تحويل كنيسة العلية إلى مسجد النبي داود وإلى إجلاء الرهبان الفرنسسكان ، فيما بعد ، عن دير صهيون انظر : —

— VAN BERCHFM : Op. Cit, Jérusalem "Ville" I, No. 109 (مرسوم السلطان سليمان) ، pp. 401—411 et notes.

— VINCENT et ABEL : Jérusalem nouvelle, II, fasc. III, p. 470.

— COLLIN (B) : Les Lieux-Saints, pp. 165—167.

— MALO (ADRIEN A.M.) : L'epopée inachevée de nos Lieux-Saints, Montréal 1955, pp. 163-165.

— عارف العارف ، تاريخ القدس ، ص ٢٤٥ — ٢٤٦

٣٨ — RONCAGLIA (M.) : Saint-Francis of Assisi and the Middle-East, p. 15.

٣٩ — COLLIN (B) : Op. Cit, pp. 167—171.

يشير المؤلف فى هذه الصفحات إلى جميع الجهود التى قامت بها الكنيسة الكاثوليكية فى هذا الصدد

٤٠ — — KLEINCLAUSZ : Op. Cit, SYRIY, VII, p. 233.

— VINCENT et ABEL : Op. Cit, II, Fasc III. pp. 431—440.

يعطى المؤلف فى هذه الصفحات نتائج الحفريات الألمانية بخصوص تحديد مكان البيت الذى توفيت به السيدة مريم ، ثم دراسة معمارية لهذا الأثر الذى بناه الألمان فى عام ١٨٨٩ .

٤١ — انظر الملحق رقم ٤ (واقعة قبر داود عليه السلام والقبة المحدثة عند دير صهيون والكشف على دقاق ناظر الحرمين الشريفين ونائب القدس الشريف) .

٤٢ — COLLIN (B.) : Les frères mineurs au Cénacle, dans Etudes Franciscaines, nouvelle serie, No. 22, T. IX, Juillet 1959, p. 1 et suiv.

٤٣ — KLEINCLAUSZ : Op. Cit, p. 214.

٤٤ — RONCAGLIA : Op Cit, p. 13.

— كان الرهبان الفرنسسكان يقومون على رعاية المكان الذى حوكم فيه السيد المسيح وصُلب داخل كنيسة القيامة ، ويسمى « الجلجلة » . وهذا الموضع هو آخر مرحلة فى الرحلة التى سارها السيد المسيح حاملاً الصليب لتنفيذ الحكم بصلبه فى طريق يسمى (طريق الآلام) أو (طريق الصاليب) . وكان قيامهم على خدمة هذا المكان محل نزاع دائم بينهم وبين رهبان الكرج

(الجورجان) ، وقد أوضحوا حقهم فى ذلك فى المكاتبة التى رفعوها إلى السلطان الظاهر برقوق والمؤرخه فى ٢٧ ذى القعدة الحرام ٧٩٨ هـ — انظر :

RIŠANI : Op. Cit, V Documento, pp. 40—47.

ـ هذا وتشير بعض المراجع إلى أن صلاح الدين قد استجاب لما طلبه منه هيوبرت والتر أسقف سالسبورى الذى كان بين جموع الصليبيين الذين حجوا إلى بيت المقدس عقب إقرار الصلح فى سنة ١١٩٢ بين صلاح الدين ورتشارد قلب الأسد ، من أن يُسمح لأثنين من القسس واثنين من الشمامسة اللاتين بالبقاء فى كنيسة القيامة وفى بيت لحم والناصرة ، وانهم لما قدموا بعد شهور لم يتعرضوا للأذى والضرر — انظر :

العرينى : الشرق الأوسط والحروب الصليبية ، الجزء الأول ، ص ١٠١١

٤٥ — — DE SESSEVALLE : Op. Cit, p. 456.

— COLLIN (B.) : Les Frères mineurs au Cénacle, pp. 9—10.

٤٦ — وردت هذه العبارة ، [ويمكّن الريس بدير صهيون من إقامة اثنين وثلاثين أو أربعين بقامة ويخرجهم إذا أراد ، ويبدلهم بغيرهم على جارى العادة] ، فى مرسوم برسباى المؤرخ فى ٤ صفر ٨٣١ هـ ، وفى مرسوم خشقدم المؤرخ فى ٢٨ صفر ٨٦٩ هـ ، وفى مرسوم قايتباى المؤرخ فى ٨ ذى القعدة ٨٧٦ هـ — انظر :

RIŠANI : Op. Cit, XV Documento, pp. 140—142 ; XXV Documento, pp. 290—317 ; XXVII Documento, pp. 328—347.

٤٧ — — PATREM : Op. Cit, p. 12.

— PERO TAFUR : Op. Cit, p 58.

٤٨ — سَمَحَ لهم السلطان برقوق ببناء هذه الدار في ١٤ ربيع الآخر سنة ٧٩٩ هـ — انظر :

RIŠANI : Op. Cit, VII Documento, pp. 54—57.

CASTELLANI : Catalogo dei Fermani, No. 73. —٤٩

مرسوم السلطان الغورى المؤرخ فى ١٤ ربيع الثانى ٩١٩ هـ.

RIŠANI : Op. Cit, XXIV Documento, pp. 278-282. —٥٠

الوثيقة الخاصة بعمارة ما انهدم من هذه الدار فى عام ٨٥١ هـ .

DEPPING : Histoire du commerce entre le Lévant et l'Europe, Paris 1830, T. II, p. 340. —٥١

HEYD : Les consulats établis en Terre-Sainte au Moyen-Age, dans ROL, II, p. 357, 358, 359—360, 361. —٥٢

— فى هذا المقال القيم الذى كتبه Heyd عن التمثيل القنصلى بالأراضى المسيحية المقدسة فى العصر الوسيط يذكر أنه لم يعثر على أية إشارة تفيد وجود قناصلة الفرنج هناك قبل بداية القرن الخامس عشر الميلادى . ولكن وثائق دير صهيون أثبتت وجود قنصل للرهبان الفرنسسكان فى فلسطين فى أواخر القرن الرابع عشر يمثلهم لدى السلطات المملوكيه — انظر الحاشية رقم ٥٥

COURET : Op. Cit, p. 260. —٥٣

— MARIANO DI NANNI DA SIENNA : Del viaggio in Terra-Santa fatto et descritto en 1431, p. 19. —٥٤

— COURET : Op. Cit, p. 258.

٥٥ — وردت الإشارة لأول مرة فى وثائق دير صهيون — التى تم نشرها حتى الآن — إلى وجود قنصل لهم ، وذلك فى مرسوم السلطان برقوق المؤرخ فى ٩ شوال ٧٩٠ هـ . ففى هذا المرسوم وردت العبارة الآتية ، [وثم

من البريدية من يتعرض اليهم بالأذية والضرر ويقطع مصانعتهم وأيضاً يقطع مصانعة قنصلهم، فلما أضر ذلك بحالهم شكوا حالهم إلى النواب بالمملكة] .
ومن المحتمل أن يكون حصولهم على حق التمثيل القنصلى لدى السلطات المملوكيه سابق على هذا التاريخ ـــ انظر :

RIŠANI : Op. Cit, II Documento, pp. 18—25.

٥٦ ـــ جاء ذكر هذا اللقب فى مقدمة مرسوم خشقدم الصادر اليهم بتاريخ ٢٨ صفر ٨٦٩ هـ ، وفى مقدمة مرسوم قايتباى الصادر اليهم بتاريخ ٨ ذى القعدة ٨٧٦ هـ ـــ انظر :

RIŠANI : Op. Cit, XXV Documento, pp. 290—317,
XXVII Documeuto, pp. 328—347.

٥٧ـــ انظر أحمد دراج : المماليك والفرنج ، ص ٨٣ ومايليها ، ص ١٣٤ ومايليها (البرتغال) ، ص ١٢٩ — ١٣١ (اسبانيا) ، ص ١٤٩ — ١٥١ (فرنسا)

٥٨ — أحمد دراج : المرجع السابق ، ص ١٢ — انظر فى شيء من التفصيل الفصل الأول من هذا الكتاب ، ص ٧ — ١٨ .

٥٩ — انظر فيما بعد ، الجدول ، رقم مسلسل : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٧ ، ٩ ، ١٠ ، ١٦ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٣١ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٤٣ ، ٤٦ ، ٥٣ .

٦٠ — انظر فيما بعد الجدول ، رقم مسلسل : ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٨ ، ٢٥ ، ٣٢ ، ٣٦ ، ٤٤ ، ٤٩ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٨ .

٦١ — انظر فيما بعد ، الجدول ، رقم مسلسل : ٣٢ ، ٣٦ ، ٤٤ .

٦٢ — انظر فيما بعد ، الجدول ، رقم مسلسل : ٦ ، ٨ ، ١٧ ، ١٨ ، ٢٦ ، ٢٨ ، ٣٤ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٥ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ .

٦٣ ـــ انظر فيما بعد ، الجدول ، رقم مسلسل : ١٨ ، ٢٧ ، ٣٠، ٣٣، ٣٥ .

٦٤ — RIŠANI : Op. Cit, XXVII Documento, pp. 328-347.

— انظر كذلك مقدمة مرسوم خشقدم المرفق بهذا البحث، ملحق رقم (٢)

٦٥ـ انظر فيما بعد ، الجدول ، رقم مسلسل : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ .

٦٦ — انظر فيما بعد ، الجدول ، رقم مسلسل : ٧ ، ٩ ، ٢٢ ، ٢٣، ٢٤ ، ٣١ ، ٤٣ ، ٤٦ .

— كما نشر Golubovich مرسومين من هذه المراسيم ، أحدهما للسلطان برسباى ، وهو المؤرخ فى ٤ صفر ٨٣١ هـ ، وثانيهما مرسوم قايتباى المؤرخ فى ٨ ذى القعدة ٨٧٦ هـ — انظر :

GOLUBOVICH (G) : Serie chronologica .. .. .., p. 163, 166.

٦٧ — انظر مقدمة مرسوم خشقدم المرفق بهذا البحث — ملحق رقم (٢)

٦٨ — ورد مصطلح « قطع المصانعة » فى هذه الوثائق عدة مرات ، كما ورد كذلك فى المراسيم المملوكية الخاصة بالشام ؛ ومعناه جباية أتاوه مالية نظير السماح بالقيام بعمل معين من الأعمال التى من المفروض أن يقوم بها أحد أصحاب الحرف والصنائع — انظر :

SAUVAGET (J.) : Decrets Mamelouks de Syrie, Extrait de BEO, XII, No. 39, pp. 4—5, 8 et note.

٦٩ — كان ميراث من يموت دون وجود وريث له يؤول إلى « ديوان المواريث الحشرية » ، وايراد هذا الديوان كان يعتبر إحدى جهات الدخل لديوان الخواص الشريفة (انظر : زبدة كشف الممالك ، ص ١٠٧ — ١٠٨) — وقد جرت العادة أن يترك لبطريرك الأقباط ولحاخام اليهود فى مصر

ميراث من يموت من القبط واليهود . ولكن هذه القاعدة لم تُحترم على الدوام ، كما حدث فى سنة ٧٥٥ هـ ، وفى سنة ٨٤١ هـ ؛ فقد آل ميراث من لاوريث له من القبط واليهود إلى ديوان المواريث الحشرية — انظر :

DARRAG : L'Egypte sous le règne de Barsbay, p. 144, 145

— وما كان يطبق على أهل الذمة فى مصر كان غالباً مايطبق عليهم فى الشام . ومن ثمّ كان اهتمام الرهبان الفرنسسكان بالنص فى المراسيم السلطانية الصادرة اليهم على حقهم فى أن يؤول اليهم ميراث من يموت منهم

٧٠ — انظر فيما بعد ، الجدول ، رقم مسلسل : ٢٢ ، وكذلك مرسوم خشقدم المرفق بهذا البحث — ملحق رقم (٢)

٧١ — انظر فيما بعد ، الجدول ، رقم مسلسل : ١٠ ، ١٥، ٤٤، ٥٤، ٥٥ .

٧٢ — انظر فيما بعد ، الجدول ، رقم مسلسل : ١٢ ، ١٣ (النزاع بينهم وبين نصارى الروم على مسا كنهم المقامة بداخل كنيسة القيامة) ، ٥٢ ، ٦٢، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٦ ، ٧١ (النزاع بينهم وبين الجورجان على جبل الصعود) .

— انظر أيضاً كتاب المماليك والفرنج ، ص ١٥٣ — ١٥٤ (سفارة ملك الكرج (الجورجان) لدى الغورى بخصوص هذا الموضوع .

٧٣ — انظر فيما بعد .

٧٤ — عن اشتداد غارات المتجرمة فى البحر (القراصنة) فى القرن الخامس عشر انظر : المماليك والفرنج ، ص ٩ .

٧٥ — انظر المرجع السابق ، ص ١٢ — ١٦ (المقدمة) ، وانظر أيضاً كل ما يتصل بالرهبان الفرنسسكان (انظر الفهرست : الفرنسسكان)

٧٦ — انظر تريتون : أهل الذمة فى الإسلام ، ترجمة الدكتور حسن حبشى ، ص ١٤ وما يليها .

٧٧ — انظر الجدول السابق ، رقم مسلسل : ١٥

٧٨ — انظر الجدول السابق ، رقم مسلسل : ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠

٧٩ — انظر الجدول السابق ، رقم مسلسل : ١١ ، ١٨ ، ٤٩ ، ٥٠، ٦٥.

٨٠ — انظر الجدول السابق ، رقم مسلسل : ٢٩ — ٣٤ .

٨١ — انظر الجدول السابق ، رقم مسلسل : ٢٥ ، ٢٧ — انظر الملحق رقم ٢

٨٢ — انظر الجدول السابق ، رقم مسلسل : ٣٤ ، ٤٥ ، ٥٦ ، ٥٧، ٦٨.

٨٣ — انظر الجدول السابق ، رقم مسلسل : ٣٥ ، ٣٦ .

٨٤ — انظر الجدول السابق ، رقم مسلسل : ٦١ .

٨٥ — فيما يختص بهذه الصورة العامة انظر :

— DARRAG : L'Egypte sous le règne de Barsbay, chap. III, pp. 57 — 107. (La décadence économique), chap. IV, pp, 109 — 158 (Les expédients).

— WIET : Les inscriptions arabes de Damas, dans SYRIY, III, 1922, p. 161, 163—164.
: Notes d'épigraphie Syro-Musulmane, SYRIY, VI, 1925, pp. 171—172.

٨٦ — عن هذه الرسوم انظر الدراسة التى قام بها ڤان برشم لشرح مرسوم السلطان الغورى الصادر فى سنة ٩١٩ هـ ، والمرفق بهـــذا البحث (ملحق رقم ٣)

— VAN BERCHEM : CIA, Syrie du Sud, Jérusalem "Ville", T. I, Fasc. I, No. 108, pp. 384-391.

٨٧ — لقد جرى المعرف قبل استيلاء الصليبيين على بيت المقدس على جباية رسم مقرر من كل حاج من الحجاج المسيحيين مقابل السماح له بزيارة كنيسة القيامة — انظر :

VAN BERCHEM : Op. Cit, p. 384 et note 1.

٨٨ — ابن شداد : النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، ص ٢٣٥ — ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ .

— ابو شامه : كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين ، الجزء الثانى ، ص ٢٠٣ — ٢٠٤ .

— ابن واصل : مفرج الكروب ، الجزء الثانى ، ص ٤٠٣ — ٤٠٤

— العرينى : الشرق الأوسط والحروب الصليبية ، الجزء الأول ، ص ١٠٠٨ — ١٠٠٩ .

— WIET : L'Egypte arabe, p. 329.

٨٩ — مجير الدين : الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، الجزء الأول ، ص ٣٤٣ — ٣٤٤ .

٩٠ — انظر فيما بعد ص

٩١— VAN BERCHEM : Op. Cit, p. 384 et note 2.

— العرينى : المرجع السابق ، الجزء الأول ، ص ١٠٠٩ ، ح ٢ .

[ينقل عن GROUSSET: histoire des Croisades, III, p. 117

أن الاتفاق تناول السماح للمسيحيين بزيارة الأماكن المقدسة دون أن يؤدوا رسوماً .

٩٢ — VAN BERCHEM : Op. Cit, p. 385 et notes 1. 2, 3, 4, p. 386 et note 3.

ــ عقدت المعاهدة بين الملك الكامل والامبراطور فردريك الثانى والتى بمقتضاها تنازل له الملك الكامل عن القدس فى ٢٤ فبراير ١٢٢٩ ، ودخل فردريك الثانى القدس وتسلمها فى ١٧ مارس من نفس العام ، ثم أبحر من عكا إلى بلاده فى أول مايو من نفس العام أيضاً ، وبذلك يكون قد حلّ وقت أداء المسيحيين فريضة الحج بكنيسة القيامة ، — وهو يوم سبت النور من كل عام ــ أثناء وجوده بالقدس .

انظر عن الملك الكامل والامبراطور فردريك الثانى :

— WIET : L'Egypte arabe, p. 355—356.

ــ عاشور : الامبراطور فردريك الثانى والشرق العربى ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد الحادى عشر سنة ١٩٦٣ ، ص ٢٠٨ ، ٢١٠ .

٩٣ ــ ابن بطوطة : تحفة النظار ، المطبعة الأزهرية بمصر ، الطبعة الأولى ، الجزء الأول ، ص ٣٤ .

٩٤ ــ كان من الطبيعى أن يتعرض حجاج الفرنج ، خاصة ، لمخاطر الطريق كالتعرض لهم فى الطرقات والطمع فيهم . وقد أثار رهبان الفرنسسكان فى مكاتبة لهم مع السلطان الأشرف شعبان هذه الشكوى نيابة عن حجاج الفرنج . ففى المرسوم الذى أصدره الأشرف شعبان لهم فى ٢ رجب ٧٧٦ هـ (انظر الجدول السابق ، رقم مسلسل ٧) وردت هذه الفقرة ، [أن الفرنج الواصلين لزيارة القدس الشريف أنهوا أنهم قائمون بما يجب عليهم من الحقوق الديوانيه ويتوجهون إلى الأماكن المعروفة لهم بالزيارة من قديم الزمان ويحصل لهم الطمع فى الطرقات . ومرسومنا أن يتقدم المجلس (نائب القدس) بإجرائهم على جارى عوايدهم المستمرة إلى آخر وقت ومنع من يتعرض لهم فى الطرقات بأذية ومنع من يقصد ضررهم .]

٩٥ — لقد كان لرهبان القديس يوحنا (الاسبتارية) داران لاستضافة الحجاج ، أحدهما بالقدس وثانيهما بالرملة . كما ظل رهبانهم ، والقنصل الذى يمثلهم بالقدس لدى السلطات المملوكية ، يزاولون نشاطهم فى فلسطين حتى أوائل القرن الخامس عشر . فمنذ ذلك التاريخ اشتدت الغارات التى كان يقوم بها فرسان القديس يوحنا بالاشتراك مع قراصنة القبارصة والكتلان على الشواطىء المصرية والشامية ، كما كثر تجرمهم فى البحر ضد سفن المسلمين فى شرق البحر الأبيض المتوسط ، ولذلك ساءت العلاقات بينهم وبين السلطات المملوكيه . وقد ترتب على ذلك عدم وجود قنصل يمثلهم بالقدس فى سنة ١٤١٣ ، وفيما بين سنين ١٤٢٢ — ١٤٢٦ ، وفيما بين سنتى ١٤٤٠ — ١٤٤٤ ، وفى سنة ١٤٤٩ . — انظر :

— HEYD : Les consulats, pp. 355—361.

— DARRAG : Op. Cit, pp. 283—284.

٩٦ — عن هذه المعاهدة انظر :

— PAULI : Codice diplomatico, II, pp. 108—110, charte No. LXXXVI, p. 543.

— MAS-LATRIE : Histoire de l'île de Chypre, II, p. 348—349.

— VAN BERCHEM : Op. Cit, pp. 386—387.

٩٧ — الدوكات هى العملة الذهبية لجمهورية البندقية ، وكانت هى العملة السائدة فى أسواق مصر والشام نظراً لأن تجار البنادقه كانوا يتمتعون بمركز الصدارة فى الدولة المملوكية من الناحيه التجارية ، ونظراً لأن تجارة المرور بين الشرق والغرب ، وما كانت تجبيه السلطات المملوكية من رسوم عليها ، كانت تمثل المورد الأكبر للدولة ، وخاصة ، منذ مطلع القرن الخامس عشر

الميلادى . هذا فضلاً عن ثبات سعر التعامل بها نظراً لجودة سبكها ، فلم تكن تفقد شيئاً من وزنها أثناء تداولها . بينما كان الدينار المصرى يقل عنهما من حيث جودة السبك ، ولذلك فإنه كان يفقد بعض وزنه أثناء التداول . وقد ترتب على ذلك عدم ثبات سعره ، ولذلك كان يتعامل به فى غالب الأحيان وزناً وليس عداً — انظر :

— VAN GENNEP (A. R.) : Le ducat vénitien en Egypte, dans Revue Numismatique, 1897, pp 378—381.

— DARRAG : Op. Cit, pp. 91—98.

٩٨— — KHITROWO (B. De) : Itineraires russes, p. 174 (De Grethénois en 1400—7 ducats).

— MARIANO DI NANNI DA SIENNA : p. 17 (en 1431— 7, 71 ducats).

— PERO TAFUR : p. 84 (en 1436—7,5 ducats).

— ADLER : Jewish Travellers, p. 192 (Meshullam en 1481—14 ducats).

٩٩— — KHITROWO (B. De) : Op. Cit, p. 214.

— PERO TAFUR : p. 62, 84.

١٠٠ — خليل بن شاهين الظاهرى : زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ، طبعة بول رافيس ، ص ١٠٨ .

١٠١ ـ الدوكات الذهبية البندقية كانت تساوى ٢٢ دوكات فضيه بندقية، والدوكات الفضية تقابل فى العملة الإسلامية الدرهم من الفضة ـ انظر :

— BARATIER et REYNAUD : Histoire du commerce de Marseille, T. II, Paris 1951, p. 381. note 2.

١٠٢— PAULI : Codice diplomatico, II, charte no. LXXXVI, p. 543.

١٠٣— HEYD : Les consulats, Rol, II, p. 366.

١٠٤— MARIANO DI NANNI DA SIENNA : Op. Cit, p. 19.

— COURET : Op. Cit, p. 258.

١٠٥— BERTRANDON DE LA BROCQUIERE : Voyage d'Outre-mer, éd. Ch. Schefer, Paris 1892, p. 16.

١٠٦— KHITROWO (B. De) : Op. Cit, p. 175.

١٠٧— VAN BERCHEM : Op. Cit, p. 392.

١٠٨— MARIANO DI NANNI DA SIENNA : Op. Cit, p. 130

١٠٩ — بلغ مادفعه ، أرنولد ڤون هارف مقابل السماح له بزيارة كنيسة القيامة فى غير موسم الزيارة عشر دوكات ذهبيه — انظر :

VON HARFF (A.) : The pilgrimage (1496—1499), ed M. Letts, London 1946, p. 189.

١١٠ — كان ناظر كنيسة القيامة والحراس الذين يأتمرون بأمره يجبون أتاوات من الحجاج ، وكان هذا موضعاً للشكوى ؛ كما حدث على لسان الرهبان الفرنسسكان فى سنة ٧٩٠ هـ ـ انظر مرسوم السلطان برقوق المؤرخ فى ١٩ ذى القعدة سنة ٧٩٠ هـ الموضح بالجدول السابق ، رقم مسلسل ١٠

١١١— KHITROWO (B. De) : Op. Cit, p. 214.

١١٢ — انظر الجدول السابق ، رقم مسلسل ٥٤ (مرسوم قايتباى فى ٤ ذى الحجة سنة ٩٠٠ هـ — الحجاج والرهبان ليسوا مجبورين على دفع موجب الخفر) ، رقم مسلسل ٥٥ (مرسوم قايتباى فى ٣٠ جمادى الأولى ٩٠١ — اعفاء الرهبان من دفع موجب السلطان) .

١١٣— VAN BERCHEM Op. Cit, no. 108, pp. 378—379 (نص المرسوم) ، pp. 391—397 شرح المرسوم بالنسبة للطوائف الشرقية ـ أنظر الملحق رقم (٣).

١١٤ — عن هذا النزاع بين الغورى وجمهورية البندقية انظر :

— احمد دراج : المماليك والفرنج ، ص ١٤٤ ـ ١٥٤ .

١١٥ — VON HARFF (A.) : Op. Cit, p. 93.

١١٦ — VAN BÉRCHEM : Op. Cit, pp 392—393.

١١٧ — المقصود بذلك هو أمير المدينة .

١١٨ — رحلة ابن جبير ، تحقيق الدكتو حسين نصار ، ص ٧

١١٩ — المرجع السابق ، ص ٣٤

١٢٠ — نسبة إلى سلطان الموحدين عبد المؤمن بن على.

١٢١ — يذكر ابن جبير — فيما بعد — (الرحلة ، ص ٥١ ، ٥٢) أن الذى جعله صلاح الدين لأمير مكة بدلاً من مكس الحاج ألفا دينار وألفا أردب من القمح . . . . . حاشا اقطاعات أقطعها بصعيد مصر وبجهة اليمن لهم . وينقل الفاسى (شفاء الغرام ، ص ٢٥٨) عن ابن جبير ماقاله فى هذا الصدد . غير أن السيوطى (حسن المحاضرة ، ص ٣٥) يذكر أن صلاح الدين عوّض امير مكة مقابل إسقاط المكوس والضرائب عن الحجاج بمكة اقطاعاً بديار مصر يُحمل إليه منه فى كل سنه ثمانية الاف اردب غله ، وقرر للمجاورين أيضاً غلات تحمل اليهم وصلات

١٢٢ — رحلة ابن جبير ، ص ٢٥ ، ٢٦ .

١٢٣ — السلوك ، طبعة الدكتور زيادة ، الجزء الأول ، ص ٥٧١ .

١٢٤ — المرجع السابق ، الجزء الأول ، ص ٧٢٤ — ٧٢٦ .

١٢٥ — المرجع السابق ، الجزء الثانى ، ص ١٩٧

— السيوطى : حسن المحاضرة ، ص ١٠٢

١٢٦ — أى تجار الكارم وهم كبار التجار الذين أتخذوا من مصر زمن سلاطين الأيوبيين والمماليك مركزاً لتجارة البهار وغيرها من سلع الشرق التى كانوا يقومون بنقلها من أسواق الشرق والاتجار بها فى أسواق مصر والشام والحجاز واليمن ـ انظر :

— صبحى لبيب : التجار الكارمية وتجارة مصر فى العصور الوسطى ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد الرابع ، العدد الثانى ؛ مايو ١٩٥٢

— WIET : Les marchands d'Épices sous les sultans mamlouks dans "Cahiers d'Histoire Égyptienne", Le Caire 1955, pp. 81—147.

١٢٧ — الفاسى : شفاء الغرام ، ص ٢٨٥ ، ٢٨٦ .

١٢٨ ـــ البتانونى : الرحلة الحجازية ، ص ٧٥ ، ٩٧ (قرأ البتانونى هـــذا النقش على أحد الأساطين المجاورة لباب الحزورة ، أحد أبواب الحرم المكى)

ـــ قام أيضاً بقراءة هذا النقش ، وغيره من نقوش مكة ، المرحوم الأستاذ محمد الهوارى الأمين السابق بمتحف الفن الإسلامى . وكان رحمه الله يساعد الأستاذ جاستون ڤيت المدير السابق لمتحف الفن الإسلامى فى قراءة هذه النقوش : توطئةً لدراستها ونشرها . وقد قام الأستاذ جاستون ڤيت ، فيما بعد ، بدراستها وأصدرها تحت عنوان :

Les Inscriptions de la Mecque.

١٢٩ — ابن خلدون : العبر ، طبعة بولاق ، الجزء الرابع ، ص ١١٧ .

١٣٠ — ابن حجر : إنباء الغمر بأبناء العمر ، مخطوطة بالمكتبة الأهلية بباريس ، القسم العربى ، رقم ١٦٠٢ ، ورقة ١١٣ ب .

١٣١ — المقريزى : السلوك ، المخطوطة بالمكتبة الأهلية بباريس ، القسم العربى رقم ١٧٢٧ ، ورقة ٤٨٥ ب .

١٣٢— JOMIER (J.) Le Mahmal et la caravane égyptienne des pélerius de la Mekke, dans BIFAO, T. XX, Le Caire 1953, p. 80.

١٣٣ — ابن حجر : المخطوطة السابقة ، ورقة ٢١٨

— JOMIÊR (J.) : Op. Cit, pp. 80—81.

[بدأت هذه الظاهرة منذ سنة ٨٤٠ هـ]

١٣٤— SAUVAGET : Decrets Mamlouks de Syrie, BÊO, T. XII, no. 38, pp. 7—8.

أنظر الملحق رقم (٦)

١٣٥— Ibid : no. 44, pp. 25—26.

أنظر الملحق رقم (٧)

١٣٦— أنظر :

WIET : Les inscriptions arabes de Damas, dans SYRIY, III, 1922, pp. 161—162.

__________ : Notes d'épigraphie Syro-Musulmane, dans SYRIY, VI, 1925, pp. 163—173.

١٣٧ — قام الأستاذ فيت بحصر شامل لمجموعة مراسيم الشام مع ذكر موجز بسيط باللغة الفرنسية عن كل مرسوم — انظر :

__________ : Repertoire des decrets mamlouks de Syrie, dans Mélanges René Dussaud, I, Paris 1939.

__________ : Decrets de date indéterminée, dans Mélanges René Dussaud, II, Paris 1939.

١٣٨— VAN BÊRCHEM : CIA, Syrie du sud, T. II, Jérusalem "Haram", no. 184, pp. 150-152.

١٣٩— VAN BERCHEM : Op. Cit, T. I, Jérusalem "Ville" no. 101, pp. 332—336

١٤٠ — VAN BERCHEM : Op. Cit, T. I, Jérusalem "Ville" no. 107, pp. 374—377

١٤١ — SAUVAGET : Decrets Mamelouks de Syrie, BEO, T. XII, no. 39, pp. 4—10.

١٤٢ — SOBERNHEIM : Inschriftliche Wirtschafts und Verwaltungs-Verordnungen der Mamluken-Sultane ——————. Oppenheim Festschrift, Berlin 1933, no. I. p. 111—116.

١٤٣ — بيشوف : تحف الأنباء فى تاريخ حلب الشهباء ، بيروت ١٨٨٠ ، ص ١٣٠ .

— كامل الغزى : نهر الذهب فى تاريخ حلب ، حلب ١٣٤٢ هـ ، الجزء الثالث ، ص ٢٢٨ .

١٤٤ — SOBERNHEIM : CIA, Syrie du Nord, no. 28.

١٤٥ — VAN BERCHEM — OPPENHEIM : Inschriften aus Syrien, Mesopatamien und Klein-asien, in Beitrâge zur Assyreologie, vol. VII, Leipzig 1909, no. 27, pl. IV.

١٤٦ — SOBERNHEIM : Die Inschriften der Moschee von Hims, Festschrift C.F. Lehman-Hampt, I, 1921, no. I, pl. I.

١٤٧ — SAUVAGET : Op. Cit, BEO, T. XII, no. 57, p. 48.

١٤٨ — SAUVAGET : Op. Cit, BEO, XII, no. 51, p. 49.

١٤٩ — LITTMANN (E.) : Semetic Inscriptions, in Publica-cations of an American archeological Expedition to Syrie in 1899—1900, IV, New-York 1905, p. 210.

١٠٠ — SOBERNHEIM : Baalbek in Islamischen Zeit, no. 30

— ميشيل علوف : تاريخ بعلبك ، بيروت ١٩٠٨ ، ص ١٥٥ .

١٠١ — VAN BERCHEM — OPPENHEIM : Op. Cit, p. 23

١٠٢ — VAN BERCHEM : Arabische Inschriften aus Syrien in ZDPV, Mun 1903, pp. 63—69.

المراجع

المراجع العربية

١ — احمد دراج : المماليك والفرنج فى القرن التاسع الهجرى/الخامس عشر الميلادى ، القاهرة ١٩٦١ .

٢ — ابن بطوطه : تحفة النظار ، المطبعة الأزهرية بمصر ، الطبعة الأولى ، ١٣٤٦ هـ .

٣ — بيشوف : تحف الأنباء فى تاريخ حلب الشهباء ، ببروت ١٨٨٠ .

٤ — تريتون : أهل الذمة فى الإسلام ، ترجمة الدكتور حسن حبشى ، القاهرة ١٩٤٩ .

٥ — ابن جبير : الرحلة ، تحقيق الدكتور حسين نصار .

٦ — ابن حجر العسقلانى : إنباء الغمر بأبناء العمر ، مخطوطة بالمكتبة الأهلية بباريس ، القسم العربى رقم ١٦٠٢ .

٧ — ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، طبعة بولاق ١٢٨٤هـ .

٨ — خليل بن شاهين الظاهرى : زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، طبعة بول راڤيس ، باريس ١٨٩٤ .

٩ — سعيد عبد الفتاح عاشور : الامبراطور فردريك الثانى والشرق العربى ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد الحادى عشر ، ١٩٦٣ .

١٠ — السيد الباز العرينى : الشرق الأوسط والحروب الصليبية ، الجزء الأول ، القاهرة ١٩٦٣ .

١١ — ———— : مصر فى عصر الأيوبيين ، سلسلة الألف كتاب ، رقم ٢٦٩ .

١٢ — السيوطى : حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة ، القاهرة ١٣٢٧ هـ .

١٣ — أبو شامه : كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين ، القاهرة ١٢٨٧هـ.

١٤ — ابن شدّاد : النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، مطبعة الآداب، مصر ١٣١٧ هـ .

١٥ — صبحى لبيب : التجار الكارمية وتجارة مصر فى العصور الوسطى، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد الرابع ، العدد الثانى ، مايو ١٩٥٢ .

١٦ — عارف العارف : تاريخ القدس ، دار المعارف القاهرة ١٩٥١ .

١٧ — الفاسى : شفاء الغرام ، طبعة وستنفلد ، ليبزج (الجزء الثانى من Chroniken der Stadt Mekka) .

١٨ — كامل الغزّى : نهر الذهب فى تاريخ حلب ، ٣ أجزاء ، حلب ١٣٤٢ هـ .

١٩ — مجير الدين الحنبلى : الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، جزءان ، القاهرة ١٢٨٣ هـ .

٢٠ — محمد لبيب البتانونى : الرحلة الحجازية ، القاهرة ١٣٢٩ هـ .

٢١ — المقريزى :السلوك لمعرفة دول الملوك، نشر الدكتور زياده ، الجزء الأول والثانى .

٢٢ — ———— : السلوك لمعرفة دول الملوك ، المخطوطة بالمكتبة الأهلية بباريس ، القسم العربى ، رقم ١٧٢٧ .

٢٣ — ميشيل علوف : تاريخ بعلبك ، بيروت ١٩٠٨ .

٢٤ — ابن واصل : مفرّج الكروب فى أخبار بنى أيوب ،نشر الدكتور جمال الدين الشيال ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ١٩٥٧ .

المراجع الأجنبية

1— ADLER : Jewish travellers, London 1927.

2— ATIYA (A.S.) : The Arabic treasures of the convent of Mount-Sinai, in Proceeding of Egyptian Society of Historical Studies, II, 1952.

3— BARATIER (E.) et REYNAUD (F.) : Histoire du Commerce de Marseille (1291—1430), T. II, Paris 1951.

4— BENJAMIN of TUDELA : The itinerary of Rabbi Benjamin of Tudela, translated and edited by A. Asher, New-York, 1840.

5— BERTRANDON DE LA BROCQUIÈRE : Voyage d'outremer, éd. Ch. Schefer, Paris 1892.

6— CASTELLANI (E.) : Catalogo dei firmani ed altri documenti legali emanti in lingua arabe e turco concernati I santuari, I proprieta, 1 diritti della Custodia di Terra-Santa, Gerusalemme, 1922.

7— CLERMONT-GANNEAU : Recueil d'archéologie orientale, T. II, Paris 1899.

8— COLLIN (B.) : Les Lieux-Saints, Paris 1948.

9— ——————: Les Frères-Mineures au Cénade, dans Etudes Franciscaines, nouvelle serie, No. 22, T. IX, Juillet 1959.

10— COURET (A.) : Notice historique sur l'Ordre du St. Sépulcre de Jérusalem dépuis son origine jusqu'a nos jours, Paris 1905.

11— DARRAG (A.) : L'Egypte sous le règne de Barsbay, Institut Français de Damas, Damas 1961.

12— DEPPING (G.B.) : Histoire du commerce entre le Lévant et l'Êurope, 2 vols, Paris 1830.

13— GOLUBOVICH (G.) : Serie chronologica del Reverendissimi Superiori di Terra-Santa..., Gerusalemme 1898.

14— ———— Biblioteca bio-bibliografica della Terra- Santa edell'Oriente francescano, 5 vols, Fîrenze, 1913—1927.

15—HEYD (W.) : Les consulats établis en Terre-Sainte au Moyeu-Age, dans Archives de L'Orient Latin, II, Paris 1894.

16— JOMIÉR (J.) : Le Mahmal et la caravane égyptienne des pélerins de la Mekke (XIII e — XV e siècles), dans BIFAO, Recherches d'Archéologie, de Philologie et d'Histoire, T. XX, Le Caire 1953.

17— KHITROWO (B. de.) : Itinéraires russes en Orient, traduits pour la société de l'Orient Latin, Genève 1889.

18— KLEINCLAUSZ (A.) : La légende du protectorat de Charlemagne sur la Terre-Sainte, dans SYRIY, Revue d'Art Oriental et d'Archéologie, T. VII, Paris 1926.

19— LAROUSSE : L'art des origines à nos jours, 2 vols, Paris 1952.

20— LENGHERAND (G.) : Voyage de Georges Lengherand (1485-1486), éd. Marquis de Godefroy Menilglaise, Mons 1861.

21— LITTMANN (E.) : Semetic Inscriptions, in Publications of an American archeological expedition to Syria in 1899—1900, T. IV, New York — London, 1905.

22. MALO (A.M.) : L'épopée inachevée de nos Lieux-Saints, Montrial 1955.

23— MARIANO DI NANNI DA SIENNA : Del viaggio in Terra-Santa fatto et descritto en 1431, Firenze 1822.

24— MARMARDJI (A.S.) : Textes géographiques arabes sur la Palestine, Paris 1951.

25— MAS-LATRIE (R.DÊ.) : Histoire de l'île de Chypre sous les règnes des princes de la maison de Lusignan, Paris 1852.

26— MORITZ (B.) : Sur les antiquités arabes du Sinai, dans Bulletin de l'Institut Égyptien, 1910.

27———————— : Beitrâge zur geschichte des Sinaiklosters im Mittelalter nach arabischen quellen, Abhandlungen der Königlich—Preussischan Akademie der Wissenschaften, 1918.

28— PATREM (M.L.) : La custodie franciscaine de Terre-Sainte, Paris 1879.

29— PAULI : Codice diplomatico del sacromilit-Ordine Gerosalimitano, Lucques 1737.

30— PERO-TAFUR : Travels and adventures (1435 — 1439), translated and edited with an introduction by M. Letts, London 1926.

31— RIŠANI (N.) : Documenti E Firmani, Gerusalemme 1931.

32— RONCAGLIA (M.) : Saint Francis of Assisi and the Middle East, 3rd edition. Cairo Franciscan Centre of Oriental Studies, Cairo 1957.

33— SAUVAGET (J.) : Decrets mamelouks de Syrie, dans Bulletin d'Études Orientale de Damas, T. II, III, XII.

34— SESSEVALLE (De.) : Histoire génerale de l'Ordre de St. François, Première partie. Le Moyen-Age (1209—1517), 2 vols, Paris 1935, 1937.

35— SOBERNHEIM (M.) : Matériaux pour un Corpus Inscriptionum, Arabicarum Syrie du Nord, T. I, dans MIFAO, XXV. Le Caire 1909.

36— ——————— : Die inschriften der moschee von Ḥimṣ, Festschrift C.F. Lehman-Hampt, 1921.

37— ——————— : Inschriftliche wirtschafts und Verwaltung-Verordnungen der Mamluken-Sultane aus der Omajjaden-Moschee von Damaskus. Oppenheim Festschrift, Berlin 1933.

38— ——————— : Baalbek in Islamischen Zeit, Ergebnisse der Ausgrabungen und Untersuchungen in der Jahren 1898 bis 1905, Band III, Berlin 1922.

39— STERN (S.M.) : Fätimid Decrees, Original documents from the Fâtimid Chancery, London 1964.

40— THENAUD (J.) : Le voyage d'outre-mer (Egypte, Mont-Sinai, Palestine), suivi de la rélatin de l'ambassade de Domenico Trevisan, auprès de soudan d'Egypte (1512), éd. Schefer, Paris 1884.

41— VAN BERCHEM (M.) : Materiaux pour un Corpus Inscriptionum Arabicarum, Syrie du Sud, T. I, Jérusalem "Ville", in MIFAO, XLIII, Le Caire.

42— ——————— : Op. Cit., T. II, Jérusalem, "Ḥaram", in MIFAO, XLIV, XLV, Le Caire.

43— ——————— : Arabische inschriften aus Syrien, in ZDPV, Mun 1903.

44— VAN BERCHEM — OPPENHEIM : Inschriften aus Syrien, Mesopatamien und Klein asien, in Beitrâge zur Assyreölogie, vol. VII, Leipzig 1909.

45— VAN GENNEP (A.R.) : Le ducat vénitien en Égypte, dans Revue Numismatique, 1897.

46— VERNIERO (P.) : Chroniche O Annali Di Terra-Santa, T. I, (1304—1620), Firenze.

47— VINCENT (H.) et ABEL (F.M.) : Jérusalem nouvelle, T. II, Fasc. III, Paris 1922.

48— VON HAMMER (J.) : Histoire de l'empire ottoman, trad. Dochez, 3 vols, Paris 1840—1842.

49— VON HARFF (A.) : The pilgrimage of Arnold von Harff (1496—1499) ed. M. Letts, London 1946.

50— WIET (G.) : L'Egypte arabe, T. IV, de l'Histoire de la Nation Egyptienne, Paris 1937.

51— ———— : Les inscriptions arabes de Damas, dans SYRIY, T. III, 1922.

52— ———— : Notes d'épigraphie Syro-Musulmane, dnns SYRIY, T. VI, 1925.

53— ———— : Repertoire des decrets mamlouks de Syrie, dans Mélanges René Dussaud, T. I, Paris 1939.

54— ———— : Decrets de date indeterminée, dans Mélanges René Dussaud, II, Paris 1939.

55— ———— : Les marchands d'epices sous les sultans mamlouks, dans "Cahiers d'Histoire Egyptienne", Le Caire 1955.

کشّاف

كشّاف

عما ورد من أسماء الأعلام والدول والوقائع والبلدان

(ا)

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ط)

(ظ)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

(هـ)

(و)

(ى)

محتويات الكتاب